الفصل الرابع:
أعمال متعلقة بالقلب السليم

obeikandl.com

المبحث الأول:

المحبة

المحبة أساس كل عمل من أعمال الدين والإيمان، كما أن التصديق أساس كل قول من الأقوال؛ وذلك أن كل عمل يعمله الإنسان لا بد أن يكون عن إرادة قلبية - كما أوضحنا سلفاً - وهذه الإرادة إما أن تكون حباً أو كرهاً، فدافع العمل لا يخرج عن أن يكون رغبة وطواعية أو رهبة وإجباراً.

وأعمال الدين قسمان:

* أولاً: التعبدي المحض كالصلاة والصيام والحج.

* والآخر: ما كان تابعاً للنية؛ كالأكل والنوم بنية الاستعانة على الطاعة، والإنفاق على الأهل بنية القربة ونحوه.

فالأول لا يصلح إلا بالنية، والآخر لا يكون مأجوراً عليه ومتقرباً به إلا بها، فاتضح أن النية أساس في الأعمال كلها.

وهذه النية هي بمعنى الإرادة والغاية، وهي التي لا تخلو من أن تكون حباً أو كرهاً، أما النية الخاصة التي يذكرها الفقهاء في الأحكام فشيء آخر.

وقد أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن اختلاف حالي المؤمن والمنافق وعاقبتيهما بحسب اختلاف نية كل منهما - مع اتفاق عملهما في الصورة والمظهر؛ كالإنفاق مثلاً، فقال تعالى: ﴿ وسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * ومَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نعْمَةٍ تُجْزَى * إلا ابْتِغَاءَ وجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * ولَسَوْفَ يَرْضَى ﴾[1].

وقال: ﴿ ومَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا باللَّهِ وبرَسُولِهِ ولا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إلا وهُمْ كُسَالَى ولا يُنْفِقُونَ إلا وهُمْ كَارِهُونَ ﴾[2].

---

(١) الليل: ١٧ - ٢١.

(٢) التوبة: ٥٤.

فالمؤمن يعمل الطاعة محباً لها راضياً بها، فكان جزاؤه القبول والرضا، والمنافق يعملها كارهاً كسلان، فكان جزاؤه الرد والإحباط.

والمؤمنون أنفسهم تتفاوت درجات إيمانهم بحسب المحبة والرضا؛ فكم بين إسلام أبي ذر الذي تحمل المشاق حتى بلغ رسول الله ﷺ، فلما أسلم أعلن إسلامه بين ظهرانى الكفار مستعذباً ضربهم وأذاهم يوماً بعد يوم، وبين إسلام الأعرابى الذي جاءَ النبي ﷺ فقال له: «**أسلم**»، فقال: أجدني كارهاً، فقال: «**أسلم وإن كنت كارهاً**».

بل كم بين إسلام سلمان الذي قضى السنين الطوال بحثاً عن الدين الحق وانتقل من خدمة راهب إلى آخر حتى وقع في الرق وبلغه خبر رسول الله ﷺ وهو على النخلة، فكاد يسقط فرحاً وشوقاً، وبين إسلام المؤلفة قلوبهم من جفاة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام بذل ذليل.

ومن هنا كانت المحبة أصل أعمال القلوب، وشرطاً من شروط لا إله إلا الله؛ فإن الإسلام هو الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله؛ فمن لا محبة له لا إسلام له ألبتة، بل هى حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، فإن (الإله) هو: الذي يألهه العباد حباً وذلاً وخوفاً ورجاءً وتعظيماً وطاعة له، بمعنى (مألوه) وهو: الذي تألهه القلوب، أي: تحبه وتذل له.

وأصل (التأله) التعبد، والتعبد آخر مراتب الحب، يقال: عَبده الحب وتيمه إذا ملكه وذلله لمحبوبه.

فالمحبة حقيقة العبودية وهل تُمكن الإنابة بدون المحبة والرضا والحمد والشكر والخوف والرجاء؟ وهل الصبر في الحقيقة إلا صبر المحبين؟ (وهل التوكل إلا توكل المحبين) فإنه إنما يتوكل على المحبوب في حصول محابه ومراضيه.

وكذلك الزهد في الحقيقة هو زهد المحبين، فإنهم يزهدون فيما سوى محبوبهم لمحبته وكذلك الحياء في الحقيقة إنما هو حياء المحبين، فإنه يتولد من بين الحب والتعظيم وأما ما لا يكون عن محبة فهو خوف محض" .

وهكذا في سائر أعمال القلب التي لا يكون العبد شاهداً أن لا إله إلا الله بدونها.

وقد جعل الله تعالى إخلاص المحبة فرقاناً بين المؤمنين والكافرين ، فمن أشرك مع الله غيره في المحبة وسواه به فهو المشرك المتخذ من دون الله نداً معبوداً ، فضلاً عمن خلا قلبه من محبة الله ورسوله ودينه بالمرة وكره ذلك ، فهذا كافر كفر إبليس وفرعون ، مهما كان في قلبه من تصديق مجرد .

يقول الله تعالى: ﴿ ومِنَ النَّاس مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ والَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ (١) .

فأخبر أن من أحب من دون الله شيئاً - كما يحب الله تعالى - فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً ، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية ، فإن أحداً من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية ، بخلاف ند المحبة ، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم .

"وهذه هي التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم وهم في النار ، يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب: ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢) ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم والطاعة والتشريع .

وهذا أيضاً هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾(٣) . أي يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم . . . " .

وإذا كان تجريد المحبة وإخلاصها هو متعلق الشطر الأول من شطري الشهادة وهو شهادة (أن لا إله إلا الله) فإن تجريد المتابعة والتحكيم للرسول ﷺ هو تحقيق المحبة المتعلق بالشطر الآخر (شهادة أن محمداً رسول الله) يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

---

(١) البقرة: ١٦٥ .
(٢) الشعراء: ٩٧ ، ٩٨ .
(٣) الأنعام: ١ .

والرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[١].

فهذه هي آية المحبة وهي آية المحنة، قال بعض السلف: "ادعى قوم محبة الله، فأنزل آية المحنة: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[٢].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأعماله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي: تخالفوا عن أمره: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك - وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويقول الرسول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**».

ونواصل مع ابن القيم رحمه الله حيث يقول: "فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم، فيستحيل إذاً ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله.

ودل على أن متابعة الرسول ﷺ هي حب الله ورسوله وطاعة أمره، ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله لصاحبه ألبتة ولا يهديه الله.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ وإِخْوَانُكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ وعَشِيرَتُكُمْ وأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ومَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ وجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ واللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ

---

(١) آل عمران: ٣١ - ٣٢.
(٢) آل عمران: ٣١.

الْفَاسِقِينَ ﴾[١] .

فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله ، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله ، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله ، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه ، أو معاملة أحدهم على معاملة الله ؛ فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وإن قال بلسانه فهو كذب منه وإخبار بخلاف ما هو عليه .

ويقول: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**»[٢] .

وليست محبة الله ورسوله دعوى يمكن أن يرفعه المنافقون ، بل هى تحقيق توحيد الله وطاعته باتباع ما جاء به النبى ﷺ ، فمحبته ﷺ التى لا يكون العبد شاهداً أن محمداً رسول الله إلا بها لا تتحقق إلا باتباعه وتعزيره وتوقيره وتعظيم سنته والتخلى عن التقديم بين يدي أمره ونهيه - كما جاء في حديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»[٣] .

يقول الإمام ابن القيم في بيان هذا الأصل العظيم "أصل العبادة: محبة الله ، بل إفراده بالمحبة وأن يكون الحب كله لله ، لا يحب معه سواه ، وإنما يحب لأجله وفيه ، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه ، فمحبتهم من تمام محبته وليست محبة معه ، كمحبة من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبه .

وإذا كانت المحبة له هى حقيقة عبوديته وسرها ، فهى إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه ، فعند اتباع الأمر واجتناب النهى تتبين حقيقة العبودية والمحبة ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله علماً عليها وشاهداً لمن ادعاها ، فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي**

---

(١) التوبة: ٢٤ .
(٢) رواه البخارى .
(٣) مسند أحمد .

يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[١].

فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله، وشرطاً لمحبة الله لهم، ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه، فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة.

بل المعول في باب معرفة الله، على العقول المتهوكة المتحيرة المتناقضة وفي الأحكام: على تقليد الرجال وآرائها والقرآن والسنة إنما نقرؤهما تبركاً لا أنا لقى منهما أصول الدين ولا فروعه ومن طلب ذلك ورامه عاديناه وسعينا في قطع دابره واستئصال شأفته.

وقد وجدت كلاماً عظيماً لشَيْخ الإسْلام ابن تيمية في رسالته: التحفة العراقية في الأعمال القلبية، هذه مقتطفات منها:

يقول رحمه الله: محبة الله، بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هى أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة، إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة.

فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هى محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحاً، بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو كله للذي أشرك**».

وثبت في الصحيح حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار القارئ المرائى والمجاهد المرائي والمتصدق المرائي.

بل إخلاص الدين لله هو الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والآخرين

---

(١) آل عمران: ٣١.

من الرسل وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه . . . إلى أن يقول:

فإذا كان أصل العمل الديني هو إخلاص الدين لله وهو إرادة الله وحده ، فالشيء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته وهذا كمال المحبة ، لكن أكثر ما جاء به المطلوب مسمى باسم العبادة ، كقوله: ﴿ ومَا خَلَقْتُ الْجنَّ والأنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١] وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾[٢] وأمثال هذا .

والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته ، فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبوداً والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبوداً ولهذا قال تعالى: ﴿ ومِنَ النَّاس مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ والَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾[٣] .

فبين سبحانه أن المشركين بربهم الذين يتخذون من دون الله أنداداً وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله ، فالذين آمنوا أشد حباً لله منهم ؛ لأن المؤمنين أعلم بالله والحب يتبع العلم ؛ ولأن المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده وأولئك جعلوا بعض حبهم لغيره وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب ومعلوم أن ذلك أكمل قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ورَجُلاً سَلَماً لِرَجُل هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٤] .

واسم المحبة فيه إطلاق وعموم ، فإن المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين وإن كان ذلك من محبة الله وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره ولهذا جاءت محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة والإنابة إليه والتبتل له ونحو ذلك ، فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

---

(١) الذاريات: ٥٦ .
(٢) البقرة: ٢١ .
(٣) البقرة: ١٦٥ .
(٤) الزمر: ٢٩ .

ثم إنه كما بين أن محبته أصل الدين، فقد بين أن كمال الدين بكمالها ونقصه بنقصها؛ فإن النبي ﷺ قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، فأخبر أن الجهاد ذروة سنام العمل وهو أعلاه وأشرفه وقد قال تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ باللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾[1] والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة.

وقد ثبت أنه أفضل ما تطوع به العبد والجهاد دليل المحبة الكاملة، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ وإِخْوَانُكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ وعَشِيرَتُكُمْ ﴾[2].

وقال تعالى في صفة المحبين والمحبوبين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ولا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾[3].

فوصف المحبوبين المحبين بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فإن المحبة مستلزمة للجهاد لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق له في ذلك وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم، إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له.

ثم يقول الشيخ: "ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح فيما يرويه عن ربه: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**» وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته

---

(١) التوبة: ١٩ - ٢٢.
(٢) التوبة: ٢٤.
(٣) المائدة: ٥٤.

ولا بد لـه منه .

قـال: "والمحـب الـتام لا يؤثر فيه لوم اللائم وعذل العاذل ، بل ذلك يغريه بملازمة المحبة كما قد قال أكثر الشعراء في ذلك .

وهـؤلاء هـم أهـل المـلام المحمـود وهـم الذين لا يخافون من يلومهم على ما يحب الله ويرضـاه مـن جهـاد أعدائه ؛ فإن الملام على ذلك كثير ، وأما الملام على فعل يكرهه الله أو تـرك مـا أحـبه فهـو لوم بحق وليس من المحمود الصبر على هذا الملام ، بل الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل .

وبهذا يحصل الفرق بين الملامية الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك" .

علامات محبة الله تعالى للعبد:

العلامـات التي إذا وجدت في العبد أو أحس بها تدل على أن الله يحبه . . حسن التدبير لـه فيربيه من الطفولة على أحسن نظام ويكتب الإيمان في قلبه وينور لـه عقله فيجتبيه لمحبته ويستخلصه لعبادته فيشغل لسانه بذكره وجوارحه بطاعته ، فيتبع كل ما يقربه إلى محبوبه وهو الله عز وجل ويجعله الله نافراً من كل ما يباعد بينه وبينه ثم يتولى هذا العبد الذي يحبه بتيسير أمـوره مـن غير ذلّ للخلق فييسر أموره من غير إذلال ، ويسدد ظاهره وباطنه ، ويجعل همه هماً واحداً بحيث تشغله محبته عن كل شيء .

الرفق بالعبد والمراد اللين واللطف والأخذ بالأسهل وحسن الصنيع .

القـبول في الأرض والمـراد قبول القلوب لهذا العبد الذي يحبه الرب والميل إليه والرضا عنه والثناء عليه كما جاء في حديث أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله إذا أحـــب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبّه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في الـــسماء فيقول إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغـــض عـــبداً دعا جبريل عليه السلام إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جـــبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فيبغضوه ثم توضع له البغضاء في**

الأرض»[١].

الابتلاء، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**».

فيبتليهم بأنواع البلاء حتى يمحصهم من الذنوب، ويفرغ قلبوهم من الشغل بالدنيا غيرة منه عليهم، فالله يغار ومن صفاته الغيرة، يغار أن يشتغل العبد الذي يحبه بغيره فلا يريد أن يشتغل بالدنيا فيبتليه ويتلذذ العبد بالبلاء ويصبر ولا يجد وقتاً وإمكاناً للاشتغال بالدنيا التي تصرفه عن الله فلا يقع العبد فيما يضره في الآخرة، ويبتليه بضنك من المعيشة أو كدر من الدنيا أو تسليط أهلها ليشهد صدقه معه في المجاهدة، قال تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** ﴾.

وهذا الابتلاء على حسب قدر الإيمان ومحبة الله للعبد كما قال سعد بن أبي وقاص: يارسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حره بين يدي - وجد الحر فوق اللحاف - فقلت يارسول الله ما أشدها عليك، قال: «**إنا كذلك يضعّف لنا البلاء ويضعّف لنا الأجر**»، قلت يارسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء**» قلت يارسول الله ثم من؟ قال: «**الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحوّيهاوإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**»[٣] قالوا في اللغة التحوية أن يدير كساءً حول سنام البعير -.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه الترمذي وقال الألباني حسن صحيح.
(٣) أخرجه ابن ماجة وصححه الألباني.

الموت على عمل صالح، كما جاء عن النبي ﷺ: «**إذا أحب الله عبداً عسّله**» قالوا وما عسّله؟ قال: «**يوفق له عملاً صالحاً بين يدي أجله حتى يرضى عنه جيرانه أو من حوله**»(١).

علامات دالة على محبة العبد لله تعالى:

لما كانت المحبة خفية في القلب سهُل أن يدّعيها كل أحد وقالت اليهود: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾.

فما أسهل الدعوى وأعز الحقيقة، فلا ينبغي أن يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس إذا ادعت نفسه محبة الله مالم يمتحنها بالعلامات ويطالبها بالبراهين، والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابتة وفرعها في السماء، وثمارها تظهر في القلب والجوارح كدلالة الثمار على الأشجار والدخان على النار وهذه العلامات كثيرة:

١- حب لقاء الله تعالى فإنه لا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب لقاءه ومشاهدته، فقال النبي ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»(٢)، فالمحب الصادق يذكر محبوبه دائماً والموعد الذي بينهما للقاء، ولا ينسى موعد لقاء حبيبه، وماهو موعد اللقاء؟، هناك موعدان، الأول الموت والثاني يوم القيامة، والثالث اللقاء في الجنة والنظر إلى وجه الرب. إذاً فالموت هو الموعد الأول للقاء مع الله وليس معنى هذا أن العبد يريد الموت الآن وأنه يتمناه ويدعو به على نفسه، لكن إذا نزل الموت بالعبد الصالح أحب نزوله، لأنه سيفضي به الآن إلى لقاء الله وما أعد له من الثواب والنعيم ويكون بقرب ربه: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(٣)، يريد أن يكون عند ربه وأن يصل إليه من الألطاف والإنعام بعد الموت من الله ما يصل، فضلاً عن ما يكون له من الجزاء العظيم في الجنة، فمحبة لقاء الله تعالى ولما علم الله عزوجل شوق عباده المحبين له والمطيعين ضرب لهم موعداً بينه وبينهم وهو

---

(١) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) القمر: ٥٤، ٥٥.

الموت ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ .

٢- أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق ، فإن أقل درجات التنعم بمناجاة الحبيب فمن كان النوم والاشتغال بالحديث ألذّ عنده من مناجاة الليل فكيف تصح محبته؟ ، فإن المحب يتلذذ بخدمة محبوبه وتصرفه في طاعته وكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة الطاعة والخدمة أكمل وقد قال النبي ﷺ : «**حبب إلي من الدنيا الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[1] .

فقرة العين كما قال ابن القيم فوق المحبة ، فجعل النساء والطيب مما يحبه ، وأخبر أن قرة العين التي يطمئن القلب بالوصول إليها ومحض لذته وفرحه وسروره وبهجته إنما هو بالصلاة التي هي صلة بالله وحضور بين يديه ومناجاة له واقتراب منه فكيف لا تكون قرة العين؟ وكيف تقر عين المحب بسواها؟ ومن قرة عينه بصلاته في الدنيا ؛ قرة عينه بقربه من ربه عزوجل في الآخرة وقرة عينه به أيضاً في الدنيا ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، فقرة عين المحب ولذته ونعيم روحه في طاعة محبوبه بخلاف المطيع كرهاً ، المتحمل للخدمة ثقلاً ، الذي يرى أنه لولا ذل القهر ما أطاع فهو يتحمل طاعته كالمكره الذي أذله مكرِهه وقاهره بخلاف المحب الذي يعد طاعة محبوبه قوتاً ونعيماً ولذة وسروراً فهذا ليس الحامل له على الطاعة والعبادة والعمل ذل الإكراه ، بل تكون دواعي قلبه وجوارحه منساقة إلى الله طوعاً ومحبة وإيثاراً كجريان الماء في منحدره ، يتم تلقائياً بكل يسر وسهولة ، وهذا حال المحبين الصادقين فإن عبادتهم طوعاً ومحبة ورضا ففيها قرة عيونهم وسرور قلوبهم ولذة أرواحهم .

علامة المحبة كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة .

٣- أن يكون صابراً على المكاره ، والصبر من آكد المنازل في طريق المحبة وألزمها

---

(١) رواه النسائي وقال الألباني حسن صحيح .

للمحبين ، وهم أحوج إلى منزلة الصبر من كل منزلة ، فإن قيل كيف تكون حاجة المحب إليه ضرورية مع منافاته لكمال المحبة ، فإنه لا يكون إلا مع منازعات النفس النفس لمراد المحبوب؟ قيل: هذه هي النكتة ولب الموضوع والقصد والفائدة التي لأجلها كان الصبر من آكد المنازل في طريق المحبة وأعلقها به وبه يعلم صحيح المحبة من معدومها وصادقها من كاذبها فإنه بقوة الصبر على المكاره في مراد المحبوب يعلم صحة المحبة ومن هنا كانت محبة أكثر الناس كاذبة لأنهم كلهم ادعوا محبة الله تعالى فحين امتحنهم بالمكاره انخلعوا عن الحقيقة ولم يثبت إلا الصابرون ، فلولا تحمل المشاق وتجشّم المكاره بالصبر ماثبتت صحة الدعوة وقد تبين أن أعظم الناس محبة لله أشدهم صبراً وهذا ماوصف الله به أولياءه وخاصة فقال عن عبده أيوب لما ابتلاه ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً** ﴾ فهذه العلاقة بين الصبر والمحبة ﴿ **نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ ، وأمر أحب الخلق إليه بالصبر لحكمه وأخبر أن الصبر لا يكون إلا لله ، فيصبر لله والصبر لا يكون إلا بالله ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ** ﴾ .

٤- أن لا يؤثر عليه شيئاً من المحبوبات ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما: أنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، قال: «**حتى أكون أحب إليك من نفسك**» ، قال: أنت أحب إلي من كل شيء حتى نفسي ، قال: «**الآن يا عمر**»[1] ، إذاً من العلامات أن لا يقدم العبد شيئاً على الله لا ولده ولا والده ولا الناس ولا أي شهوة ، ومن آثر على الله شيئاً من المحبوبات فقلبه مريض ، وإذا كان العبد مؤثراً ما أحبه الله على ما يحبه هو فيكون عند ذلك مقاوماً لداعي الهوى معرضاً عن الكسل مواظباً على الطاعة متقرباً بالنوافل فيظهر الطاعة ولذلك قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ::: هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ::: إن المحب لمن يحب مطيع

وللعلم: العصيان لا ينافي أصل المحبة إنما يضاد كمالها . فالمحبة كالإيمان لها أصل ولها كمال ، فبحسب المعاصي ينقص الكمال ، وإذا دخل المرء في مرحلة الشك والنفاق الأكبر

---

(١) سنن الترمذي .

ذهب الأصل والمخلع وانعدم، فالذي ليس في قلبه محبة لله هذا كافر مرتد ومنافق نفاق أكبر، ليس له من الدين نصيب، أما العصاة لا يقال لهم أنه ليس عندهم محبة لله بل يقال محبتهم لله ناقصة وعلى هذا يعَاملون

والدليل على هذا حديث نعيمان الذي أُتي به عند النبي ﷺ يوماً وهو سكران فحدّه في شرب الخمر، فلعنه رجلٌ وقال ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**»[1]، يعني عنده أصل المحبة، وعنده نقص بقدر ما عصا. ولأن هذا صحابي فلا نتكلم فيه في ذاته بل وإنما الشاهد الإتيان بالحديث لنبين أن المعصية لا تنفي أصل المحبة، وقد يكون الرجل قد تاب وختم له بخير فنحفظ حقوق صحابة الرسول ﷺ حتى الذين عصوا منهم، ومعروف أن الحدود تكفر المعاصي. وهذا ما ينبغي التعامل به مع صحابة الرسول ﷺ حتى الذين ورد في الأحاديث أنهم وقعوا في المعاصي، فإنهم عند الله بمكان عظيم حتى العاصي منهم كان يخرج للجاهد ويقدم نفسه وروحه فداء لله ورسوله، وعندهم طاعات عظيمة قد تكون أكب بكثير مما فعلوا من السيئات.

١- أن يكون مولعاً بذكر الله تعالى، لا يفتر لسانه ولا يخلو عنه قلبه، فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره بالضرورة ومن ذكر ما يتعلق به. فيحب عبادته وكلامه وذكره وطاعته وأولياءه. ولقد أمر الله تعالى عباده بذكره في أخوف المواضع ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً**﴾ تحت ظلال السيوف وقعقعات السيوف ولا تشغلكم عن ذكر ربكم. فعلامة المحبة الصادقة ذكر المحبوب عند الرغب والرهب، وحتى العرب في الجاهلية كان المرء يفتخر بالأشعار أنه ذكر محبوبته في الحرب وتحت وقع السلاح. وأهل الإيمان أولى بهذا منهم بحبهم للرحمن وأكثر مما يفعله العاشقون والضلاّل مع محبوبيهم. ومن الذكر الدال على صدق المحبة سبق ذكر المحبوب إلى قلب المحبوب ولسانه عند أول يقظة من منامه وآخر شيء يذكره قبل أن ينام مرة أخرى، وهذه من فوائد أذكار النوم والاستيقاظ.

---

(١) رواه البخاري.

٢- المحب الصادق إذا ذكر الله خالياً وجل قلبه وفاضت عيناه من خشية الله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[1].

٣- أن يغار لله فيغضب لمحارمه إذا انتهكها المنتهكون ولحقوقه إذا تهاون بها المتهاونون فهذه هي غيرة المحب حقاً، والدين كله تحت هذه الغيرة فأقوى الناس ديناً وأعظمهم محبة لله أعظمهم غيرة على حرمات الله، ولذلك ينكرون المنكرات ويمنعونها غيرة، لأن محبوبهم لا يرضى بهذا فهم لا يرضون به ولا يرضون بحصوله ويسعون في تغييره.

٤- محبة كلام الله عزوجل، فإذا أردت أن تعلم ماعندك وعند غيرك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك فإن من المعلوم أن من أحب محبوباً كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه، فلا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم فهو لذة قلوبهم وغاية مطلوبهم، ومن هنا كان عكوف هؤلاء المحبين لله على كتاب الله، تلاوة وتفسيراً وتدبراً والاستشهاد به في كل موقف. يكثرون من القراءة نظراً وحفظاً. فيكثرون التلاوة ينتج عنها التعلق بكلام المحبوب والإكثار منه.

٥- أن يتأسف على ما يفوته من طاعة الله وذكره، فترى أشد الأشياء عليه ضياع شيء من وقته فإذا فاته ورده وجد لفواته ألماً أعظم من تألم الحريص على ماله من فوات ماله وسرقة ماله وضياع ماله، وبادر إلى قضائه في أقرب فرصة كما كان يفعل الصادق المصدوق ﷺ فقالت عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته وكان إذا نام من الليل أو مرض صلّى من الليل اثنتا عشرة ركعة)[2].

٦- أن يستقل في حق محبوبه جميع أعماله ولا يراها شيئاً، ولا يرى أن ما عبده به وأطال وصبر عليه أنه بذل شيئاً، فلا يراه قط إلا بعين النقص والإزدراء ويرى شأن محبوبه أعظم من كل ما عمل من أجله وأعلى قدراً فلا يرضى بعمله، بل يتهم عمله ويحتقره

---

(١) الأنفال: ٢.

(٢) رواه مسلم.

ويخشى أنه ما وفّى حق محبوبه بل ويتوب إليه من النقص . لذلك بعد الصلاة يقول أستغفر الله ، فهو دائم الاستغفار للنقص الحاصل في عبادة الرب . وكلما ازداد حباً لله ازداد معرفة بحقه فاستقل عمله أكثر . فكلما ازداد حبّاً ازداد عملاً واحتقاراً لما عمل . ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ .

ما هي الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى؟

٧- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به . قال تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ .

٨- ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ ، فهذا هو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم من إنزال القرآن ، وأن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يقرأ ويتجاوب مع كل آية بمشاعره وعواطفه دعاءً واستغفاراً ورجاءً . قال حذيفة صليت مع الرسول ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى ، فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبّح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ . وكان ﷺ إذا قرأ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾[1] قال سبحان ربي الأعلى .

٩- فلاشيء أنفع للقلب وأجلب لمحبة الله من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والشكر والصبر وسائر الأحوا ل وأعمال القلوب . ثم يزجر عن الصفات المذمومة والأفعال القبيحة التي تفسد القلب وتهلكه .

١٠- قال الحسن البصري: (أنزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً) فالتفكر بالقرآن أصل صلاح القلب والعمل به متمم لذلك ولا بد لهذا من هذا .

١١- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض لأنها توصل إلى درجة المحبة كما جاء في الحديث القدسي: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء**

(١) الأعلى: ١ .

أحب إلي مما افترضته عليه، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيينه ولأن استعاذني لأعيذنّه» فتضمن هذا الحديث الإلهي الشريف حصر أسباب محبة الله في أمرين: أداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل.

١٢- وأخبر سبحانه أن أداء الفرائض أحب ما يتقرب إليه المتقربون ثم بعدها النوافل، وأن المحب يستكثر من النوافل، لا يزال يكثر منها حتى يصير محبوباً لله فإذا صار محبوباً شغلته المحبة عن أي أفكار وخواطر أخرى أجنبية غريبة عن العبادة فلا تخطر على باله وإذا جاءت تنصرف وتنطرد بسرعة، لأنه صار عنده من مراقبة الله ما يمنع هذه الأفكار من الورود ويكون عنده من المهابة والعظمة لربه ما يمنع من الانشغال بأي شيء أجنبي عن العبادة، ويكون عنده من الإجلال لله والأنس به والشوق إليه ما يجعله دائماً ذاكراً تالياً عابداً عاملاً.

فإذا قيل أن هناك أناس وهذا أكثر حال المسلمين، يستكثرون من النوافل وهم مقصرون في الواجبات ويقترفون المعاصي فما الحل؟ ليس الحل في ترك النوافل فبتركها يزداد حاله سوءاً فالنوافل تجبر النقص، بل الحل في البقاء على النوافل لكن يصلح حال الواجبات ويصلح حال ترك المحرمات فيمتنع عن المحرمات ويزيد في النوافل. وفي الحديث كما قال ابن حجر عظم قدر الصلاة فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها وذلك لأنها محل المناجاة والقربى، ولا واسط فيها بين العبد وربه، ولا شيء أقر لعين العبد منها ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أنه لا يفارقه ولا يخرج منه لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته وهذا للعابد.

إذاً المحافظة على الصلاة فرضاً ونفلاً من أعظم ما يجلب المحبة ومنها قيام الليل. ولا تكاد تجد فريضة إلا وله نوافل (الصلاة - الصيام - الزكاة - الحج - صلة الرحم والبر بالوالدين) حتى المرء إذا قصّر في الواجب وجد ما يعوّض به، لكن لا يمكن للمرء أن يشتغل بالنوافل ويترك الواجبات وهذا من خلل التصور واضطراب الميزان وخلل المنهج.

١٣- أن يكثر ذكر الله باللسان والقلب والعمل فنصيبه من المحبة على حسب نصيبه من هذا الذكر، ولهذا أمر تعالى بالإكثار من ذكره، وأنه سبب للفلاح ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١]، وأثنى على أهل الذكر ومدحهم وأخبر نبيه ﷺ أنه فوق منزلة الجهاد، وجعل الله هذا الذكر حتى بعد العبادات العظيمة وخاتمة الأعمال الصالحة وبعد الصيام ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، والحج ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾[٢]، والصلاة ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾[٣]، والجمعة إذا انقضت ﴿ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً ﴾[٤]، وهكذا.. فالذكر هذا مقارن للأعمال الصالحة ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾[٥]، وبناء على ذلك فإن ذكر الله تعالى من أعظم ما يوصل إلى محبته عز وجل..

١٤- أن تؤثر محابه على محابّك عند غلبات الهوى، وأن تتسنم إلى محابّه ولو صعُب المرتقى، **وعلامة هذا الإيثار شيئان:**

١ - فعل ما يحبه الله ولو كانت نفسك تكرهه.

٢ - ترك ما يكرهه الله ولو كانت نفسك تحبه.

وبهذين الأمرين يصح مقام الإيثار، ومؤونة هذا الإيثار شديدة لقوة داعي الهوى والطبع والعادة ولكن المؤمن الذي يريد أن يصل إلى مرتبة المحبة وأن يجلب محبة الله له يتكلف المؤونة الشديدة ويراغم نفسه الضعيفة لكي يصل إلى هذا ويحقق هذاالإيثار، فيشمر وإن عظمت المحنة ويتحمل الخطر الجسيم إرضاء للملك ولأجل الحصول على الفوز الكبير، فإن ثمرة هذا في العاجل والآجل ليست تشبهه ثمرة من الثمرات ولا تتحقق المحبة إلا بهذا

---

(١) الأنفال: ٤٥.
(٢) البقرة: ٢٠٠.
(٣) النساء: ١٠٣.
(٤) الجمعة: ١٠.
(٥) طه: ١٤.

الإيثار .

قال ابن القيم - رحمه الله -: (ما ابتلى الله سبحانه عبده المؤمن بمحبة الشهوات والمعاصي وميل نفسه إليها إلا ليسوقه بها إلى محبة ماهو أفضل منه وأنفع وأخير وأدوم وليجاهد نفسه على تركها لله فتورثه هذه المجاهدة محبة الله والوصول إلى المحبوب الأعلى ، فكلما نازعته نفسه إلى تلك الشهوات واشتدت إرادته لها وشوقه إليها ؛ صرف ذلك الشوق والإرادة بشوق أعظم ومحبة أكبروهي محبة الله عزوجل) .

والقاعدة أن الإنسان لا يمكن أن يترك محبوباً إلا لمحبوب أعلى منه ، فكان لأجل ذلك من مشى إلى محبوبه على الجمر والشوك ؛ أعظم من مشى إليه راكباً على النجائب .

فليس من آثر محبوبه مع منازعة نفسه كمن آثره مع عدم منازعتها ، لماذا كان صالحو البشر أفضل من الملائكة؟ ، لأن الملائكة ليس لديهم شهوات ومنازاعات ، منقادون إلى الله بطبيعتهم ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ما من موضع أربعة أصابع في السماء إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد ولذلك أطّت السماء من ثقل الملائكة الذين يعبدون الله فيها ، لكن الذي يسبح ويعبد دون أن يفتر مع منازعة نفسه والشهوات وهذه العوائق والعلائق ومع ذلك صامد صابر ؛ هذا أعلى . ولماذا كانت المرأة من البشر في الجنة أفضل من الحور العين؟ بمجاهدتها نفسها ومراغمتها نفسها والتغلب على الشهوات وصبرها وصلاتها وصومها وعبادتها . فهو سبحانه يبتلي عبده بالشهوات إما حجاباً له عنه أو حجاباً له يوصله إلى رضاه .

١٥- مشاهدة بره تعالى وإحسانه وآلائه ونعمه الظاهرة والباطنة فإنها داعية إلى محبته ، والقلوب قد جبلت على محبة من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ، ولا أحد أعظم إحساناً على أحد من الله عزوجل ؛ فإن إحسانه على عبده في كل نفس ولحظة والعبد يتقلب في نعم الرب دائماً في كل الأحوال ، ويكفي أن بعض أنواع نعمة النفس لا تخطر على بال العبد وله عليه في كل يوم وليلة أربعة وعشرون ألف نعمة ، كيف عرفوا ذلك ؟ ، لأنهم حسبوا كم نفس يتنفس المرء في الأربع والعشرين ساعة ، فحسبوها وقدروها ، فإذا كان أدنى نعمه في

جانب التنفس فقط أربع وعشرون ألف نعمة في اليوم فما الظن بالنعم الأخرى إذا أردت أن تعد ؟ ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[١]! ، فكيف بالمضرّات التي يصرفها ويدفعها عنك إضافة لهذه النعم والإحسان؟ وكّل سبحانه حفَظَة ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[٢] . نعم مجلوبة ونقم مدفوعة لا نحس بها والله يكلأنا بالليل والنهار ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾[٣] ، فهو سبحانه المنعم بالكلاءة والحفظ والحراسة من كل المؤذين ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٤] . وبعض النعم تحصل رغم معاصي وإساءات وتقصير حصل . .! ، لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ؛ يدّعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم . .!

١٦- مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته مشاهدتها ومعرفتها وتقلب القلب في رياض هذه المعرفة ، فمن عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبّه لا محالة ، وهذا الباب الذي يدخل منه خواصّ أولياء الله العارفين به وهو باب المحبين حقاً الذي لا يدخل منه غيرهم ، ولا يشبع من معرفته أحدٌ منهم ، كلما بدا لهم منه علم ؛ ازدادوا شوقاً ومحبة إلى الله فإذا انضمّ داعي الإحسان والإنعام إلى داعي الكمال والجمال لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها وأبعدها عن كل خير ، فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه ، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده ؛ فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحساناً من الله ولا شيء أكمل من الله ولا شيء أجمل من الله فكل جمال وكمال في المخلوق أصلاً من آثار صنعه سبحانه وتعالى ، لا يُوصف جلاله وجماله ، ولا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه بجميل صفاته وعظيم إحسانه وبديع أفعاله بل هو كما أثنى على نفسه ، فإذا كان بعض الناس يحبون الجميل ؛ فالله عزوجل أجمل من كل شيء ، وله صفة الجمال ، قال الرسول ﷺ : «**إن الله جميل**» ، ولذلك إذا رآه أهل الجنة نسوا كل شيء ، ومن تأمل هذا عرف كيف يتغلب على الأشياء الجميلة في الدنيا من المعاصي ، وكل اسم من

---

(١) النحل: ١٨ .
(٢) الرعد: ١١ .
(٣) الأنبياء: ٤٢ .
(٤) يوسف: ٦٤ .

أسمائه وصفة من صفاته تستدعي محبة خاصة . .محبة أكثر . . تنطلق من هذا الاسم وهذه الصفة وهذا الفعل ، فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل وكل ما أمر إذ ليس في أفعاله عبث ولا في أوامره سفَه ، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة ولا المصلحة ولا العدل ولا الفضل والرحمة وكل واحد من هذه يستوجب حمداً وثناءً على الله سبحانه وتعالى .

ما للعباد عليه حق واجبٌ ::: كلا ولا سعي لديهِ ضائعُ
إن عُذِّبوا فبعدله أو نُعِّموا فبفضله ::: وهو الكريم الواسعُ

ولا يتصور بشر هذا المقام حق تصوره فضلاً عن أن يوفيه حقه ، وأعرف خلقه به وأحبهم إليه محمد ﷺ قال: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»! ، فلا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه البتة وله الأسماء والأوصاف منها مالا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولله تسع وتسعين اسم وله أسماء أخرى ، ولكن هذه الأسماء التسع والتسعين من أحصاها وحفظها وعمل بها وعرف معناها دخل الجنة .

وهناك أسماء غير معلومة لذلك يوم القيامة الله يعلم نبيه أشياء عندما يسجد تحت العرش لم تخطر ببال أحد ويثني عليه بمحامد ما علمها لأحد قبله ، فإذاً لله الأسماء والصفات التي يحب لأجلها ومن تأمل في أسمائه وصفاته ازداد محبة له ، ولو شهد العبد بقلبه صفة واحدة لله من أوصاف كماله استدعت المحبة التامة فكيف إذا شهد بقية الصفات والأسماء والأفعال ، وما نعلمه نحن عن الله وأسمائه وصفاته ليس إلا كنقرة عصفور في بحر! .

ولا نعرف الله تعالى معرفة مشاهدة بالعين بل ما عرفناه إلا من خلال الأسماء والصفات ، وما وصل إلى العباد من العلم بالله عن طريق الوحي وما رأوه في الواقع هو آثار أسماء الله وصفاته ، فاستدلوا بما علموه على ما غاب عنهم فكيف لو شاهدوا ذات الرب ووجه الرب . .؟! ، فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله سبحانه ؛ لكان لهم في حبه شأن آخر . ولذلك إذا رأوه في الجنة أشغلهم عن كل نعيم آخر . .!

وإنما تتفاوت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به ، ولذلك العلماء هم أكثر الناس محبة لله لأنهم يعرفون من الأسماء والصفات ومعاني الأسماء والصفات وآثارها مالا يعرفه عامة الناس ، وكذلك الإيمان بأن له وجهاً يليق

بجلاله وعظمته وأن لـه سمعاً وبصراً .

ومـن تأمـل في هذه الأشياء ازداد تعظيماً لربه ومحبة لـه وتعلقاً به . وأعرف الخلق بالله أشـدهم حـباً لـــه ، ولـذلك كانـت رسله أعظم الناس حبّاً لـه ، والخليلان من بينهم أعظم الناس محبة وأعظم الأنبياء محبة لله وأعرفهم به تعالى ؛ إبراهيم عليه السلام ومحمدﷺ فوقه .

وإنمـا تظهـر هـذه المحبة من مطالعة الصفات بإثباتها أولاً ومعرفتها ثانياً ونفي التحريف والتعطيل والتمثيل والتشبيه والتكييف عنها . ولذلك لا يصح مطالعة أسماء الله وصفاته إلا بقـواعد صـحيحة مبنية على عدم التعطيل والتمثيل والتشبيه والتكييف والنفي . وكلما أكثر القلـب مـن مطالعـة أسمائـه وصـفاته وأفعالـه ؛ ازدادت محبته للمتصف بها وللمتسمي بها وللفاعل وكل لذة ونعيم وسرور وبهجة بالإضافة إلى ذلك كقطرة في بحر! .

فكـم يُحـرَم مـن هـذا النعـيم نفـاة الصفات الذين ينفون أن لله وجهاً وسمعاً وبصراً وينفون أن لـه محبة وبغض .

١٧- انكـسار العـبد بـين يـدي الـرب والافـتقار إلـيه ، والخضوع والتذلل والإخبات والاستسلام والانطراح بين يديه ، فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور ، وما أدنى النصر والـرحمة والـرزق مـن هذا العبد الذي أذل نفسه لربه وأحب القلوب إلى الله قلب تمكن منه الانكـسار وملكـته الذلة والله سبحانه يحب من عبده أن يكمل مقام الذل بين يديه لأن هذه حقيقة العبودية ، الذل بين يدي الله .

١٨- ويقـال طـريق معبّد مذلل من كثرة وطأ الأقدام عليه فصار طريقاً معبداً ، ولذلك كلمـا ذل العـبد بـين يـدي ربـه كلما ازداد محبة ، والذل أنواع ، وأكملها: ذل المحب لحبيبه ، وهـناك ذل المالـك لمملوكه وهناك ذل الجاني عند المحسن إليه ، وهناك ذل العاجز عند القادر علـى إطعامـه وإيـوائه ، فأعلاهـا إذاً ذل الحبـيب لحبيـبه ، فإذا كان الذل لله عز وجل قائماً كثيراً ؛ كانت المحبة كبيرة . . ، والعبد ولا شك يذل بين يدي الله كل هذه الأنواع .

والـذي امتلأ قلبه من محبة الله سبحانه وتعالى فقلبه منكسر عند ربه ليس معجب بعمله ولا مغـترّ بما قدّم مهما كان كثيراً ، فإنه لا يراه شيئاً ويرى نفسه مقصراً ويرى سائر ما عمِل

لا يكافئ نعمة واحدة .

١٩- الخلوة بالله تعالى في وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بتأدب معه بأدب العبودية استغفاراً وتوبة ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[١]

٢٠- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

أحوال يحب الله تعالى أهلها:

١- قال الله عز وجل: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] ، فالعبد يندفع للإحسان لأنه إن صار من جملة المحسنين نال المحبة .

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٤] ، الحرص على الطهارة الباطنة والظاهرة .

٣- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[٥] .

٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٦] .

٥- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[٧] .

٦- وما هي صفاتهم؟ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الحق لومة لائم . .

---

(١) السجدة: ١٦ .
(٢) الزمر: ٩ .
(٣) البقرة: ١٩٥ .
(٤) البقرة: ٢٢٢ .
(٥) آل عمران: ١٤٦ .
(٦) آل عمران: ١٥٩ .
(٧) المائدة: ٥٤ .

٧- وأخبر الله تعالى أنه يحب المتقين . .

٨- وأخبر أنه يحب المقسطين ، أصحاب العدل الذين يعدلون في أهليهم والولايات التي يتولونها والمناصب التي يتبوءونها . .

٩- أخبر تعالى أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص .

١٠- ومما ورد في السنة: ثلاثة يحبهم الله عزوجل:

«رجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلفهم رجلٌ بأعقابهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله عز وجل والذي أعطاه فالمعطي بهذه الصفة من الإخفاء يحبه الله، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به نزلوا فوضعوا رؤوسهم فقام يتملقني ويتلو آياتي فبالرغم من تعبه ونصبه فقام يتملقني أي يسألني ويلحّ علي ويتلو كتابي، ورجل كان في سرية فلقوا العدو فانهزموا فأقبل بصدره حتى يُقتَل أو يُفتح له»[1] .

١١- ما جاء في حديث عامر بن سعدبن أبي وقاص قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فنزل الولد للقاء أبيه فقال الابن لأبيه: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ قال: اسكت ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»** ، الغني عن الناس والخفي من لا يريد علواً في الأرض ولا مناصب ولا جاه . الخامل المنقطع إلى العبادة والانشغال بأمور نفسه .

١٢- ما جاء في حديث عمرو بن شعيب قال رسول الله ﷺ : **«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»** ، من غير إسراف وخيلاء ثم يتوسط ولا يبخل على نفسه .

١٣- عن أبي حازم بن دينار عن أبي إدريس الخولاني قال دخلت مسجد دمشق فإذا أنا بفتى برّاق الثنايا وإذا الناس حوله إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه

---

(١) رواه النسائي وله شواهد حسن بعضها الشيخ الألباني رحمه الله .

رب [illegible] إلا أحب والبغض والولا ::: كذاك البرا من كل غاوومعتدى

فقيل من هذا قالوا: معاذ بن جبل، فجاءه بعد ذلك فوجده يصلي فانتظره حتى قضى صلاته فسلّم عليه وقال: قلت له: والله إني لأحبك لله عزوجل، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فقال: آلله. فقلت: آلله. فأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه فقال أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: «**وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين في والمتباذلين فيّ**».

١٤- فالحب في الله والزيارة في الله والمجالسة في الله والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر واجلس بنا نؤمن ساعة ومجالس الذكر تنال بها محبة الله، وكذلك قصة الرجل الذي زار أخاً له في الله في قرية أخرى ليس بينهم علاقة مالية ولا شراكة ولا شغل فبعث الله ملكاً يقول له: «**إن الله قد أحبك كما أحببته**»، وكلما زادت المحبة بين المؤمنين كان هذا أقرب إلى الله، فيقول ﷺ: «**ما تحابّ رجلان في الله إلا كان أحبهم إلى الله عزوجل أشدهم حباً لصاحبه**»[(١)].

١٥- أحد الصحابة كلما صلّى إماماً قرأبعد الفاتحة بقل هو الله أحد ثم يقرأ سورة أخرى دائماً أو يقرأها فقط، فذكروا ذلك للنبي ﷺفقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، الأحد الصمدالذي يصمد لحوائج الخلائق، الصمد الذي ليس بأجوف، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله يحبه**».

١٦- ما أخبر رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عزوجل سرور يدخله على مسلم أو يكشف عن كربة أو يقضي عنه ديناً أو يطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً**»[(٢)].

١٧- سُئل النبي ﷺمن أحب عباد الله إلى الله؟ قال: «**أحسنهم خلقاً**»[(٣)]، والله يحب

---

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني.
(٢) سنن الترمذى.
(٣) رواه الطبراني وصححه الألباني في السلسلة.

سمح البيع وسمح الشراء وسمح القضاء والاقتضاء .

وبالجملة فالله يحب الصالحات ، ويبغض كل منكر ومعصية[١] .

والمحبة قطعاً محلها القلب ؛ ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله ﴾[٢] ويقول: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٣] ويقول: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾[٤] ، فهذه مزاعم ودعاوى باطلة ، ولكن المؤمنين هم الذين يحبون الله ورسوله ﷺ ، ويحبون المؤمنين والصالحين وكل ما من شأنه أن يقربهم إلى الله عز وجل ، وإلى محبته ورضاه .

المحبة في الله:

إن التحابب في الله تعالى والأخوة في دينه من أعظم القربات ، ولها شروط يلتحق بها المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى ، وبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى ، وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ، قال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾[٥] .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : هم المتحابون في الله .

وفي رواية : «**نزلت في المتحابين في الله**»[٦] .

قال بعضهم :

وأحبب لحبّ الله من كان مؤمنا ::: وأبغض لبغض الله أهل التمرّد
وما الدين إلا الحبّ والبغض والولا ::: كذاك البرا من كل غاوومعتدى
أنت القتيل بكل من أحببته ::: فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

---

(١) محمد المنجد/ سلسلة أعمال القلوب / بتصرف .
(٢) البقرة: ١٦٥ .
(٣) آل عمران: ٣١ .
(٤) المائدة: ١٨ .
(٥) الأنفال: ٦٣ .
(٦) رواه النسائي والحاكم وقال صحيح .

ثمرات وفضائل المحبة في الله:

للمحبة في الله ثمرات طيبة يجنيها المتحابون من ربهم في الدنيا والآخرة منها:

١) محبة الله تعالى:

عن معاذ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى : «**وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ**»[١] وقول الملك للرجل الذي زار أخا له في الله :"إني رسول الله إليك بأنّ الله قد أحبّك كما أحببته فيه" .

٢) أحبهما إلى الله أشدّهما حبا لصاحبه:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه يرفعه قال :" ما من رجلين تحابا في الله إلا كان أحبّهما إلى الله أشدّهما حبا لصاحبه "[٢]

٣) الكرامة من الله:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من عبد أحبّ عبدا لله إلا أكرمه الله عز وجل "[٣]

وإكرام الله للمرء يشمل إكرامه له بالإيمان ، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وسائر صنوف النِّعم .

٤) الاستظلال في ظلّ عرش الرحمن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلّهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلاّ ظلّي**»[٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في " مجموع الفتاوى " :" فقوله : أين المتحابون بجلال الله ؟ تنبيه على ما في قلوبهم من إجلال الله وتعظيمه مع التحاب فيه ، وبذلك

---

(١) رواه مالك .
(٢) رواه الطبراني .
(٣) أخرجه أحمد بسند جيّد .
(٤) رواه مسلم .

يكونون حافظين لحدوده ، دون الذين لا يحفظون حدوده لضعف الإيمان في قلوبهم "

وعن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**سبعة يظلهم الله تعالى يوم لا ظلّ إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه**»(١) .

٥) وجد طعم الإيمان:

قال عليه الصلاة والسلام : «**من أحبّ أن يجد طعم الإيمان فليحبّ المرء لا يحبه إلا لله**»(٢) .

٦) وجد حلاوة الإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من سرّه أن يجد حلاوة الإيمان، فليحبّ المرء لا يحبه إلا لله**»(٣) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار**»(٤) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى": " أخبر النبي ﷺ أنّ هذه الثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان ، لأنّ وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له ، فمن أحبّ شيئا أواشتهاه ، إذا حصل له مراده ، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هوالمحبوب أو المشتهى . . . فحلاوة الإيمان ، تتبع كمال محبة العبد لله ، وذلك بثلاثة أمور : تكميل هذه المحبة ، وتفريعها ، ودفع ضدها .

"فتكميلها" أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقرّه الذهبي .
(٣) رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبي .
(٤) متفق عليه .

فيها بأصل الحبّ، بل لا بدّ أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما،

و" تفريعها" أن يحب المرء لا يحبه إلا لله،

و"دفع ضدها " أن يكره ضدّ الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار " .

٧) استكمال الإيمان:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[١] .

٨) دخول الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»[٢] .

٩) قربهم من الله تعالى ومجلسهم منه يوم القيامة:

عن أبي مالك الأشعري قال : " كنت عند النبي ﷺ فنزلت عليه هذه الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾[٣] .

قال : فنحن نسأله إذ قال : «**إنّ لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة**» ، قال : وفي ناحية القوم أعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ، ثم قال : حدثنا يا رسول الله عنهم من هم ؟ قال : فرأيت في وجه النبي ﷺ البِشر ، فقال النبي ﷺ : «**هم عباد من عباد الله من بلدان شتى، وقبائل شتى من شعوب القبائل لم تكن بينهم أرحام يتواصلون بها، ولا دنيا يتباذلون بها، يتحابون بروح الله، يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الناس، ولا يفزعون، ويخاف**

---

(١) رواه أبوداود بسند حسن .

(٢) رواه مسلم .

(٣) المائدة: ١٠١ .

الناس ولا يخافون»[١].

١٠) وجوههم نورا يوم القيامة:

من الحديث السابق في قوله : «**يجعل الله وجوههم نورا**» .

١١) لهم منابر من لؤلؤ:

نفس الحديث السابق في قوله : «**يجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الناس**» .

١٢) لهم منابر من نور:

وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنّ لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الشهداء والنبيون يوم القيامة لقربهم من الله تعالى، ومجلسهم منه**» ، فجثا أعرابى على ركبتيه فقال : يا رسول الله صفهم لنا وجلّهم لنا ؟قال: «**قوم من أقناء الناس من نزّاع القبائل، تصادقوا في الله وتحابّوا فيه، يضع الله عزّ وجلّ لهم يوم القيامة منابر من نور، يخاف الناس ولا يخافون، هم أولياء الله عزّ وجلّ الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**»[٢].

١٣) يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة:

من الحديثين السابقين: حديث الأشعري وابن عمر رضى الله عنهم في قوله ﷺ: «**يغبطهم الشهداء والنبيون يوم القيامة لقربهم من الله تعالى، ومجلسهم منه**» .

١٤) تسميتهم بأولياء الله:

من حديث ابن عمر السابق في قوله ﷺ: «**هم أولياء الله عز وجل**» .

١٥) انتفاء الخوف والحزن عنهم يوم القيامة:

من الحديثين السابقين: حديث الأشعري وابن عمر رضى الله عنهم: ﴿ **لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ وقوله: «**ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون**» .

---

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبي .
(٢) أخرجه الحاكم وصححه الذهبي .

١٦) أنّ المرء بمحبته لأهل الخير لصلاحهم واستقامتهم يلتحق بهم ويصل إلى مراتبهم، وإن لم يكن عمله بالغ مبلغهم:

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحبّ قوما ولم يلحق بهم؟ قال: «**المرء مع من أحبّ**»[١].

وفي الصحيحين أيضا عن أنس رضى الله عنه أنّ رجلا سأل النبي ﷺ متى الساعة؟ قال: «**ما أعددت لها؟**» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكنى أحبّ الله ورسوله، قال: «**أنت مع من أحببت**»، قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببت**» فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجوأن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

وعن علي رضي الله عنه مرفوعا: «**لا يحب رجل قوما إلا حشر معهم**»[٢].

من يختار للمحبة والصحبة:

قال القرافي:" ما كل أحد يستحق أن يعاشر ولا يصاحب ولا يسارر".

وقال علقمة: اصحب من إن صحبته زانك، وإن أصابتك خصاصة عانك وإن قلت سدّد مقالك، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن بدت منك ثلمة سدّها، وإن سألته أعطاك، وإذا نزلت بك مهمة واساك، وأدناهم من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق.

ويقول الشيخ أحمد بن عطاء: مجالسة الأضداد ذوبان الروح، ومجالسة الأشكال تلقيح العقول، وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة، ولا كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار، ولا يؤمن على الأسرار إلا الأمناء فقط.

ويكفي في مشروعية التحري لاختيار الأصدقاء قوله ﷺ: «**المرء على دين خليله**

---

(١) رواه مسلم والبخارى.
(٢) الطبراني في الصغير.

فلينظر أحدكم من يخالل» [1] .

قال الأوزاعي : الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب ، إذا لم تكن مثله شانته .

قيل لابن سماك : أيّ الإخوان أحقّ بإبقاء المودة ؟ قال:الوافر دينه ، الوافي عقله ، الذي لا يملّك على القرب ، ولا ينساك على البعد ، إن دنوت منه داناك ، وإن بعدت منه راعاك ، وإن استعضدته عضدك ، وإن احتجت إليه رفدك ، وتكفي مودة فعله أكثر من مودة قوله ، وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلّم منه شيئا في أمر دينك فينفعك ، أورجل تعلمه شيئا في أمر دينه فيقبل منك ، والثالث فاهرب منه .

قال علي رضي الله عنه :

إنّ أخاك الصّدق من كان معك ::: ومن يضُرُّ نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزّمان صدعك ::: شتّت نفسه ليجمعك

وقال بعض الأدباء:لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرّك ، ويستر عيبك ، فيكون معك في النوائب ، ويُؤثرك بالرّغائب ، وينشر حسنتك ، ويطوي سيّئتك ، فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك .

وقد ذكر العلماء فيمن تُؤثر صحبته ومحبته خمس خصال:

أن يكون عاقلا ، حسن الخلق ، غير فاسق ، ولا مبتدع ، ولا حريص على الدنيا .

١) العاقل:

الأصل فى صحبة العاقل ولا خير في صحبة الأحمق .

قال علي رضي الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهل ::: وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ::: حليما حين آخاه
يُقاس المرء بالمرء ::: إذا ما المرء ماشاه
وللشيء على الشيء ::: مقاييس وأشباه

---

(١) رواه أبوداود وغيره .

وللقلـــــب علـــــى القلـــــب ::: دلـــــيل حـــــين يلقـــــاه

٢) حسن الخلق.

فلا بدّ منه إذ ربّ عاقل يدرك الأشياء على ماهي عليه، ولكن إذا غلبه غضب أوشهوة أوبُخل أوجبن أطاع هواه، وخالف ما هوالمعلوم عنده، لعجزه عن قهر صفاته، وتقويم أخلاقه، فلا خير في صحبته.

قال أبوحاتم ابن حبان رحمه الله: الواجب على العاقل أن يعلم أنه ليس من السرور شيء يعدل صحبة الإخوان، ولا غم يعدل غم فقدهم، ثم يتوقى جهده مفاسدة من صافاه، ولا يسترسل إليه فيما يشينه، وخير الإخوان من إذا عظمته صانك، ولا يعيب أخاه على الزّلّة، فإنه شريكه في الطبيعة، بل يصفح، وينتكب محاسدة الإخوان، لأن الحسد للصديق من سقم المودة، كما أن الجود بالمودة أعظم البذل، لأنه لا يظهر ودّ صحيح من قلب سقيم.

٣) الفاسق.

فلا فائدة في صحبته، فمن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته، بل يتغيّر بتغيّر الأعراض.

قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ** ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ **فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾[٢]، وقال النبي ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[٣].

قال أبوحاتم رحمه الله في "روضة العقلاء": "العاقل لا يصاحب الأشرار، لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار، تعقب الضغائن، لا يستقيم ودّه، ولا يفي بعهده، وإن من سعادة المرء خصالا أربعا: أن تكون زوجته موافقة، وولده أبرار، وإخوانه صالحين، وأن

---

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) النجم: ٢٩.

(٣) رواه الترمذي وأبوداود.

يكون رزقه في بلده .وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيرا ، تكون مجالسة الكلب خيرا من عشرته ، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ، كما أن من يدخل مداخل السوء يتهّم " .

وصدق القائل:

فإذا ظفرت بذي الأمانة والتُّقى ::: فبه اليدين قرير عين فاشدد

٤) المبتدع:

ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها إليه ، فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة ، فكيف تؤثر صحبته .

٥) الحريص على الدنيا:

فصحبته سمّ قاتل ، لأنّ الطّباع مجبولة على التشبّه والاقتداء ، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه ، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرّك الحرص ، ومجالسة الزاهد تزهدّ في الدّنيا ، فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ، ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة .

الناس شتّى إذا ما أنت ذقتهم ::: لا يستوون كما لا يستوي الشّجر
هذا له ثمر حلومذاقته ::: وذاك ليس له طعم ولا ثمر

علامات الحب في الله :

١) لا يزيد بالبرّ ولا ينقص بالجفاء:

من علامات الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء ، قال يحيى ابن معاذ الرازي :

حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء .

٢) الموافقة:

ومن علامات الحب في الله الموافقة الدائمة على الطاعة والتزود من الخير والتزام الجماعة المؤمنة .

٣) لا يحسد أخاه:

ومن علاماته أن لا يحسد المحبّ أخاه ولكن هو التنافس فى فعل الخيرات .

وقد وصف الله تعالى المتحابين في قوله : ﴿ وَلاَ يَجدُونَ فِي صُدُورهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] .

٤) أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه:

ومن علاماته أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، قال رسول الله ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**»[2] .

٥) أن يكون معيار المحبة الطاعة:

ومن علاماته أن يزداد إذا رأى أخاه في طاعة الله ، وينقص إذا رأى منه معصية الله عزّ وجل .

حقوق الأخوة ومستلزمات الصحبة والمحبة :

لكل مسلم على أخيه المسلم حقوقا ، وهذه الحقوق أوجبها عقد الإسلام ، وصارت لكل مسلم بهذا العقد حرمة ، لا يحل لأحد أن ينتهكها ، وقد أتت جملة من هذه الحقوق ، وبيان لهذه الحرمة من كلام النبي ﷺ، فمن ذلك قوله ﷺ : «**حقّ المسلم على المسلم ستّ: إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**»[3] .

وفي بيان حرمة المسلم ، وما لا يجوز للمسلم أن يقع فيه مع سائر المسلمين قوله ﷺ: «**إياكم والظنّ فإنّ الظنّ أكذب الحديث، ولا تحسّسوا، ولا تجسّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا... ويشير إلى صدره، بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر**

---

(١) الحشر: ٩ .
(٢) رواه الشيخان .
(٣) متفق عليه .

أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله»[١] .

إنّ عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين ، ويترتب على هذا العقد حقوق المال والبدن واللسان والقلب ، وبمراعاة هذه الحقوق تدوم المودة وتزداد الألفة ، ويدخل المتعاقدين في زمرة المتحابين في الله ، وينالان من الأجر والثواب ما أسلفناه .

١) حقوق الأخوة في المال:

فمن حقوق المال الواجبة إنظاره إلى ميسرة إن كان غريما ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾[٢] ، وقال ﷺ : «**من يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة**»[٣] .

- ومن حقوق الأخوة المواساة بالمال : وهي كما قال العلماء على ثلاث مراتب :

١) أدناها: أن تقوم بحاجته من فضل مالك ، فإذا سنحت له حاجة ، وكان عندك فضل ، أعطيته ابتداءً ولم تحوجه إلى السؤال ، فإن أحوجته إلى السؤال ، فهوغاية التقصير في حقّ الأخوة .

٢) الثانية: أن تنزله منزلة نفسك ، وترضى بمشاركته إياك في مالك .

قال الحسن : كان أحدهم يشقّ إزاره بينه وبين أخيه ، وجاء رجل إلى أبى هريرة رضى الله عنه وقال : إنى أريد أن أواخيك في الله ، فقال : أتدري ما حق الإخاء ؟ قال : عرّفنى ، قال أن لا تكون أحقّ بدينارك ودرهمك مني ، قال : لم أبلغ هذه المنزلة بعد ، قال اذهب عني

وقال على بن الحسين لرجل : هل يُدخل أحدكم يده في كمّ أخيه أوكيسه ، فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه ؟ قال : لا ، قال : فلستم بإخوان .

٣) الثالثة: وهى العليا ، أن تؤثره على نفسك ، وتقدّم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ، ومنتهى درجات المحبين .

---

(١) رواه الشيخان .
(٢) البقرة: ٢٨٠ .
(٣) رواه مسلم وغيره .

قال ابن عمر رضى الله عنهما : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة ، فقال : أخى فلان أحوج منى إليه ، فبعث به إليه ، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول ، بعد أن تداوله سبعة .

فكانت هذه المرتبة العليا من الإيثار ، هي مرتبة الصحابة الكرام رضي الله عنهم .

عن حميد قال : سمعت أنسا رضى الله عنه قال : لما قدموا المدينة نزل المهاجرون على الأنصار ، فنزل عبد الرحمن بن عوف على سعد بن الربيع ، فقال : أقاسمك مالى ، وأنزل لك عن إحدى امرأتى ، قال : بارك الله لك في أهلك ومالك ، فآثره بما آثره به ، وكأنه قبله ثم آثره به وقد مدحهم الله عزّ وجلّ بقوله : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾[1] .

قال أبو سليمان الداراني : كان لي أخ بالعراق ، فكنت أجيئه في النوائب ، فأقول : أعطني من مالك شيئا ، فكان يلقي إليّ كيسه فآخذ منه ما أريد ، فجئته ذات يوم فقلت : أحتاج إلى شيء فقال : كم تريد ؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي وقال آخر:إذا طلبت من أخيك مالا فقال: ماذا تصنع به؟ فقد ترك حقّ الإخاء .

فهذه مراتب المواساة بالمال ، فإن لم توافق نفسك رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أنّ عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن ، وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين .

٢) حقوق الأخوة في البدن:

ويقصد بها الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات ، والقيام بها قبل السؤال ، وتقديمها على الحاجات الخاصة ، وهذه أيضا لها درجات كالمواساة بالمال .

١) أدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة :

---

(١) الحشر: ٩ .

قال النبي ﷺ: «**من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسّر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[١].

أرسل الحسن البصري جماعة من أصحابه في قضاء حاجة لأخ لهم، وقال: مروا بثابت البنانى فخذوه معكم، فمروا بثابت فقال: أنا معتكف، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه فقال لهم: قولوا له يا أعمش أما علمت أن سعيك في حاجة أخيك خير لك من حجّة بعد حجة، فرجعوا إلى ثابت فأخبروه، فترك اعتكافه وخرج معهم.

٢) الدرجة الثانية: أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك:

كان بعض السلف يتفقّد عيال أخيه بعد موته أربعين سنة، يقوم بحاجتهم، ويتردّد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه.

٣) أن تقدّم حاجة أخيك على حاجتك، وتبادر إلى قضائها ولوتأخرت حاجتك:

قضى ابن شبرمة لبعض إخوانه حاجة كبيرة، فجاء بهدية، قال: ماهذا؟ قال: لما أسديته إليّ، قال: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها، فتوضأ للصلاة وكبّر عليه أربع تكبيرات، وعدّه من الموتى.

وكان الحسن يقول: إخواننا أحبّ إلينا من أهلينا وأولادنا لأن أهلينا يذكروننا بالدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة. ويدخل في حق المسلم على أخيه المسلم زيارته له في الله عزّ وجلّ، قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والصديق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر في الجنة**»[٢].

ومن الصور المشرقة للزيارة في الله عزّ وجلّ، وما ينبغى أن تشتمل عليه من الأخلاق والآداب، ما كان بين أبى عبيد القاسم بن سلام وأحمد بن حنبل رحمهما الله، قال أبوعبيد: "زرت أحمد بن حنبل في بيته فأجلسني في صدر داره، وجلس دوني، فقلت: يا أبا عبد الله،

---

(١) رواه البخارى.
(٢) مسند أحمد.

أليس يقال : صاحب البيت أحقّ بصدر بيته؟ فقال : نعم ، يقعد ويُقعِد من يريد ، قال : فقلت في نفسي : خذ إليك يا أبا عبيد فائدة ، قال : ثم قلت له : يا أبا عبد الله ، لوكنت آتيك على نحوما تستحقّ لأتيتك كلّ يوم ، فقال : لا تقل ، إن لى إخوانا لا ألقاهم إلا في كلّ سنة مرة ، أنا أوثق بمودّتهم ممن ألقى كل يوم ، قال : قلت : هذه أخرى يا أبا عبيد ، فلما أردت أن أقوم قام معى فقلت : لا تفعل يا أبا عبد الله ، فقال: قال الشعبى : من تمام زيارة الزائر أن تمشى معه إلى باب الدار ، وتأخذ بركابه قال : فقلت يا أبا عبيد هذه ثالثة ، قال : فمشى معي إلى باب الدار وأخذ بركابي .

ومن هذه الصور المشرقة لزيارة السلف بعضهم لبعض وفرحهم بهذه اللقاءات الداعية لمزيد من الإيمان والحبّ في الله عزّ وجلّ ما رواه الخطيب البغدادي في "تاريخه" عن النقاش أنه قال: " بلغنى أنّ بعض أصحاب محمد بن غالب أبى جعفر المقرئ جاءه في يوم وحل وطين ، فقال له : متى أشكر هاتين الرجلين اللتين تعبتا إلىّ ، في مثل هذا اليوم لتكسبانى في الثواب؟ثم قام بنفسه فاستسقى له الماء ، وغسل رجليه " .

٣) حقوق الأخوة في اللسان:

وهي بالسكوت تارة وبالنطق أخرى .

١) السكوت على المكاره:

١ – لا يذكر عيوبه:

فمن حق الأخ على أخيه ، أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته ، بل يتجاهل عنه أما ذكر عيوبه ومساويه في غيبته فهومن الغيبة المحرمة ، وذلك حرام في حق كل مسلم ، ويزجرك عنه أمران بالإضافة إلى زجر الشرع : أحدهما : أن تطالع أحوال نفسك ، فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما ، فهوّن على نفسك ما تراه من أخيك ، وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة ، كما أنت عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة ، كما أنت عاجز عما أنت مبتلى به ، والأمر الثاني : أنك تعلم أنك لوطلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ، ولم تجد من تصاحبه أصلا .

كما قال النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخا لا تلُمُّه ::: على شعث أيّ الرجال المهذّب

فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوئ ، فإذا غلبت المحاسن المساوئ فهو الغاية ، والمؤمن أبدا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والودّ والاحترام ، وأما المنافق اللئيم فإنه أبدا يلاحظ المساوئ والعيوب .

قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب العثرات .

وقال الفضيل : الفتوة العفوعن زلات الإخوان .

٢ – أن لا يفشي أسراره:

ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء أسراره ولا إلى أخصّ أصدقائه ، ولوبعد القطيعة والوحشة ، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث النفس .

قيل لبعض الأدباء : كيف حفظك للسر؟ قال : أنا قبره .

وأفشى بعضهم سرا إلى أخيه ثم قال له حفظت ، قال : بل نسيت .

وقالوا : قلوب الأحرار قبور الأسرار .

كان أبوسعيد الثوري يقول : إذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك فإن قال خيرا وكتم سرا فاصحبه .

٣ – أن لا يجادله ولا يماريه:

ومن ذلك أن يسكت عن مماراته وجداله :

قال بعض السلف : من لاحى الإخوان وماراهم ، قلّت مروءته ، وذهبت كرامته .

وقال عبد الله بن الحسن: إياك ومماراة الرجال ، إنك لن تعدم مكر حليم ، أومفاجأة لئيم ، وبالجملة فلا باعث على المماراة إلا إظهار التميّز بمزيد العقل والفضل ، واحتقار المردود عليه بإظهار جهله وبالغ بعضهم في ترك المراء والجدال فقال : إذا قلت لأخيك قم ، فقال : إلى أين؟ فلا تصحبه ، بل ينبغي أن يقوم ولا يسأل ، والمراء يفتن القلب وينبت

الضغينة ويجفي القلب ويقسيه ويرقق الورع في المنطق والفعل .

عن أبي أمامة رضى الله عنه قال :" قال رسول الله ﷺ : «**من ترك المراء وهومبطل بنى لـــه بيت في ربض الجنة، ومن تركه وهومحقّ بنى لـــه في وسطها، ومن حسن خلقه بنى لـــه في أعلاها**»[١] .

قال خالد بن يزيد بن معاوية الأموي :"إذا كان الرجل ماريا لجوجا معجبا برأيه فقد تمت خسارته قال الحسن البصري :"إياكم والمراء ، فإنه ساعة جهل العالم ، وبها يبتغى الشيطان زلّته" .

٢) النطق بالمحاب:

وكما تقتضى الأخوة السكوت عن المكاره ، تقتضى أيضا النطق بالمحاب ، بل هوأخص بالأخوة ، لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور ، ومن ذلك:

١ – التودد باللسان:

فمن ذلك أن يتودد إليه بلسانه ، ويتفقده في الأحوال التى يحب أن يتفقد فيها ، وكذا جملة أحواله التى يسر بها ينبغى أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها ، فمعنى الأخوة المساهمة في السراء والضراء .

٢ – إخباره بمحبته:

ومن ذلك أن يخبره بمحبته له : عن أنس بن مالك قال : مر رجل بالنبى ﷺ وعنده ناس ، فقال رجل ممن عنده : إنى لأحب هذا لله ، فقال النبى ﷺ : «**أعلمته؟**» قال : لا ، قال: «**قم إليه فأعلمه**» فقام إليه فأعلمه ، فقال : أحبّك الذي أحببتنى له ثم قال ، ثم رجع فسأله النبى ﷺ فأخبره بما قال فقال النبى ﷺ : «**أنـــت مـــع مـــن أحببت، ولك ما احتسبت**»[٢] .

---

(١) رواه أبوداود وغيره .

(٢) رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبي .

وعن المقدام بن معدى كرب عن النبي ﷺ قال : «**إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه**»[١] .

وإنما أمر النبي ﷺ بالإخبار ، لأن ذلك يوجب زيادة حب ، فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة ، فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لا محالة ، فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف ، والتحابب بين المسلمين مطلوب في الشرع محبوب في الدين ، قال النبي ﷺ : «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**»[٢] .

٣ – دعوته بأحبّ الأسماء إليه:

ومن ذلك أن يدعوه بأحبّ أسمائه إليه في غيبته وحضوره ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث يصفين لك ودّ أخيك : أن تسلّم عليه إذا لقيته أولا ، وتوسّع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

٤ – الثناء عليه:

ومن ذلك : أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه ، مع إظهار الفرح ، فإن إخفاء ذلك محض الحسد ، وذلك من غير كذب ولا إفراط ، فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة .

٥ – الذّبّ عنه في غيبته:

وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة ، الذبّ عنه في غيبته مهما قصد بسوء أوتعرّض لعرضه بكلام صريح ، أوتعريض ، فحق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه ، والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب ، وتقصير في حق الأخوة .

---

(١) رواه أحمد وغيره .

(٢) رواه مسلم ، وقال النووي: قوله: «لا تؤمنوا حتى تحابوا» معناه لا يكمل إيمانكم ، ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب " .

قال رسول الله ﷺ : «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله**»[١] .

٦ – التعليم والنصيحة:

ومن ذلك التعليم والنصيحة : قال رسول الله ﷺ : «**الدين النصيحة**» قالوا لمن يا رسول الله ، قال : «**لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٢] ، وبخاصة إذا استنصح الأخ أخاه وجب عليه أن يخلص له النصيحة ، كما سلف في الحقوق العامة للمسلمين ، وينبغي أن تكون النصيحة في سرّ لا يطلع عليه أحد فما كان على الملإ فهوتوبيخ وفضيحة ، وما كان في السر ، فهو شفقة ونصيحة .

قال الشافعي رحمه الله : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقال رحمه الله :

تعمّدني بنصحك في انفرادي ::: وجنّبني النصيحة في الجماعة
فإنّ النصح بين الناس نوع ::: من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي ::: فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

وتتأكد النصيحة كذلك إذا تغيّر أخوك عما كان عليه من العمل الصالح .

قال أبو الدرداء: إذا تغيّر أخوك ، وحال عما كان عليه ، فلا تدعه لأجل ذلك ، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم مرة ، وحكى عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة ، فقيل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره؟ فقال: أحوج ما كان إليّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن آخذ بيده ، وأتلطف له في المعاتبة ، وأدعوله بالعود إلى ما كان عليه .

والأخوة عقد ينزل منزلة القرابة ، فإذا انعقد تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ، ومن الوفاء به أن لا يهمل أخاه أيام حاجته وفقره ، وفقر الدين أشدّ من فقر المال ، والأخوة عند النائبات وحوادث الزمان ، وهذا من أشدّ النوائب .

والقريب ينبغي أن لا يهجر من أجل معصيته ، حتى يقام له بواجب النصيحة ، وذلك

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .

لأجل قرابته، قال الله تعالى لنبيه ﷺ في عشيرته: «**فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون**»[١].

ولم يقل: إني برئ منكم، مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب، ولهذا أشار أبو الدرداء لما قيل له: ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا؟ فقال: إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي.

وكذا التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان، كما أن مقارفة العصيان من محابه، فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه، فلا ينبغي أن يضاف إليه الثاني.

٧ – الدعاء له في حياته وبعد مماته:

ومن ذلك الدعاء لأخيه في حياته وبعد مماته:

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل**»[٢].

قال النووي رحمه الله: في هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولودعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولودعا لجملة من المسلمين فالظاهر حصولها أيضا، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعولنفسه يدعولأخيه المسلم بتلك الدعوة، لأنها تستجاب ويحصل له مثلها، جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في ترجمة الطيب إسماعيل أبي حمدون – أحد القراء المشهورين – قال: كان لأبي حمدون صحيفة مكتوب فيها ثلاثمائة من أصدقائه وكان يدعولهم كل ليلة، فتركهم ليلة فنام، فقيل له في نومه يا أبا حمدون: لِمَ لَمْ تسرج مصابيحك الليلة، قال: فقعد فأسرج، وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ.

٤) حقوق الأخوة في القلب:

من حق المسلم على أخيه في الله عز وجل الوفاء والإخلاص في محبته وصحبته، وعلامة ذلك أن تدوم المحبة، وأن يجزع من الفراق، ومن حقه أن تحسن به الظن، وأن تحمل كلامه وتصرفاته على أطيب ما يكون، ومن ذلك أن لا يكلف أخاه التواضع له، والتفقد

---

(١) الشعراء: ٢١٦.

(٢) رواه مسلم.

لأحواله ، والقيام بحقوقه .

١) الوفاء والإخلاص:

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه ، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه ، فإنّ الحبّ في الله إنما يراد به ما عند الله عزّ وجلّ ، فلا ينتهي بموت أخيه .

قال بعضهم: قليل الوفاء بعد الوفاة ، خير من كثيره في حال الحياة . .

وقد جاء أنّ رسول الله ﷺ أكرم عجوزا أدخلت عليه فقيل له في ذلك ، فقال: «**إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإنّ حسن العهد من الإيمان**»(١) .

- ومن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به .

- ومن الوفاء: أن لا يتغيّر حاله مع أخيه ، وإن ارتفع شأنه واتّسعت ولايته وعظم جاهه .

قال بعضهم:

إنّ الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ::: من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال له : يا بنيّ لا تصحب من الناس ، إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك ، وإذا استغنيت عنه لم يطمع فيك ، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة ، شمت به الشيطان ، فإنه لا يحسد متعاونين على بر ، كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه ، فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما ، قال تعالى : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ** ﴾(٢) .

قال بعضهم : ما تواخى اثنان في الله فتفرّق بينهما ، إلا بذنب يرتكبه أحدهما .

وكان بشر يقول : إذا قصر العبد في طاعة الله ، سلبه الله من يؤنسه ، وذلك لأنّ الإخوان مسلاة الهموم وعون على الدين .

---

(١) صححه الحاكم والذهبي وحسنه الألباني في الضعيفة .

(٢) الإسراء: ٥٣ .

ولذلك قال ابن المبارك : ألذّ الأشياء مجالسة الإخوان ، والانقلاب إلى كفاية .

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء ، أن تكون شديد الجزع من المفارقة ، نفور الطبع عن أسبابها ، كما قيل :

وجدت مصيبات الزمان جميعها ::: سوى فرقةِ الأحبابِ هيّنةَ الخَطْب

وأنشد ابن عُيينة هذا البيت وقال : لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ، ما يخيّل إليّ أن حسرتهم ذهبت من قلبي .

- ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات عن صديقه .

- ومن الوفاء أن لا يصادق عدوصديقه : قال الشافعي رحمه الله : إذا أطاع صديقك عدوك ، فقد اشتركا في عداوتك .

٢) حسن الظنّ:

ومن حقوق الأخوة حسن الظنّ بأخيه :

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[١] .

وقال النبي ﷺ : «**إياكم والظنّ فإنّ الظنّ أكذب**» الحديث[٢] ، وإذا كان هذا مطلوب في المسلمين عامة ، فيتأكّد ذلك بين المتآخين في الله عزّ وجلّ ومن مناقب الإمام الشافعي ما قاله أحد تلامذته عنه الربيع بن سليمان قال : " دخلت على الشافعي وهومريض فقلت له: قوى الله ضعفك ، فقال : لوقوى ضعفي قتلني ، فقلت : والله ما أردت إلا الخير ، قال: أعلم أنك لوشتمتني لم ترد إلا الخير " .

فينبغي أن يحمل كلام الإخوان على أحسن معانيه ، وأن لا يظن بالإخوان إلا خيرا ، فإن سوء الظن غيبة القلب .

---

(١) الحجرات: ١٢ .

(٢) رواه الشيخان .

٣) التواضع:

ومن حقوق الأخوة القلبية أن يتواضع لإخوانه، ويسيء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه يكون هو خيرا منهم.

قال أبو معاوية الأسود: إخواني كلهم خير مني، قيل وكيف ذلك؟ قال: كلهم يرى لي الفضل عليه، ومن فضلني على نفسه فهو خير مني.

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه، وهذا في عموم المسلمين مذموم، قال ﷺ: «**بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم**»(١).

لطائف ونوادر في المحبة والإخاء:

ليس من الوفاء:

مرض الحبيب فعدته ::: فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني ::: فبرئت من نظري إليه

وظنّ الناس لصدق مودّتهما أنه يفوّض أمر حلقته إليه بعد وفاته، فقيل للشافعي في علته التي مات منها: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله، فاستشرف له محمد بن الحكم وهوعند رأسه ليومئ إليه، فقال الشافعي:سبحان الله أيشكّ في هذا؟ أبويعقوب البويطي، فانكسر لها محمد، ومال أصحابه إلى البويطي مع أنّ محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعي لله وللمسلمين، وترك المداهنة، ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى، والمقصود أنّ الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله، فالنصح لله مقدّم على الوفاء بمحبة الإخوان.

رحَل الإخوان:

قال ابن الجوزي رحمه الله:

هيهات رحل الإخوان وأقام الخُوّان، وقل من ترى في الزمان من إذا دعي مان، كان

---

(١) رواه الشيخان.

الرجل إذا أراد شين أخيه طلب حاجته إلى غيره ، ثم قال : نسخ في هذا الزمان رسم الأخوة وحكمه ، فلم يبق إلا الحديث عن القدماء ، فإذا سمعت بإخوان صدق فلا تصدق .

وقال بعضهم :

سمعنا بالصديق ولا نراه ::: على التحقيق يوجد في الأنام
وأحسبه مُحالا جوّزوه ::: على وجه المجاز من الكلام

صحبة الأحمق :

قال أبو حاتم رحمه الله: من علامات الحمق التي يجب للعاقل تفقدّها ممن خفى عليه أمره:

سرعة الجواب ، وترك التثبت ، والإفراط في الضحك ، وكثرة الالتفات ، والوقيعة في الأخيار والاختلاط بالأشرار ، والأحمق إذا أعرضت عنه اغتمّ ، وإن أقبلت عليه اغترّ ، وإن حلمت عنه جهل عليك ، وإن جهلت عليه حلم عنك ، وإن أسأت إليه أحسن إليك ، وإن أحسنت إليه أساء إليك ، وإذا ظلمته انتصفت منه ، ويظلمك إذا أنصفته ، وما أشبه عشرة الحمقى بما أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لي صديق يرى حقوقي عليه ::: نافلات وحقّه كان فرضا
لو قطعت الجبال طولا إليه ::: ثم من بعد طولها سرت عَرضا
لرأى ما صنعت غير كبير ::: واشتهى أن أزيد في الأرض أرضا

ما ضاق مكان بمتحابين:

عن الأثرم قال : دخل اليزيدي يوما على الخليل بن أحمد ، وهوجالس على وسادة ، فأوسع له فجلس معه اليزيدي على وسادته ، فقال له اليزيدي : أحسبني قد ضيّقت عليك ، فقال الخليل : ما ضاق مكان على اثنين متحابين ، والدنيا لا تسع اثنين متباغضين .

صداقة غير صادقة:

حكى ابن حبان البستي عن محمد بن الحسين قال: "كان أعرابي بالكوفة ، وكان له صديق يظهر له مودة ونصيحة ، فاتخذه الأعرابي من عدده للشدائد ، إذ حزب الأعرابي أمر ، فأتاه فوجده بعيدا مما كان يظهر للأعرابي فأنشأ يقول :

إذا كان وُدُّ المرء ليس بزائد ::: على مرحبا أوكيف أنت وحالكا
ولم يبك إلا كاشرا أومحدّثا ::: فأف لودّ ليس إلا كذلكا
لسانك معسول ونفسك بشّة ::: وعند الثَّريّ من صديقك مالُكا
وأنت إذا همّت يمينُك مرة ::: لتفعل خيرا قاتلتها شمالكا

صاحب أهل الدين واصبر نفسك معهم:

قال ابن الجوزي رحمه الله:

صاحب أهل الدين وصافهم ::: واستفد من أخلاقهم وأوصافهم
واسكن معهم بالتأدب في دارهم ::: وإن عاتبوك فاصبر ودارهم
أنت في وقت الغنائم نائم ::: وقلبك في شهوات البهائم هائم
إن صدقت في طِلابهم فامض وبادر ::: ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر
تعرض لمن أعطاهم وسل فمولاك مولاهم ::: ربّ كنز وقع به فقير، وربّ فضل فاز به صغير
علم الخضر ما خفى على موسى ::: وكشف لسليمان ما خفى عن داود

من هم الأحبة؟

قال الشافعي رحمه الله:

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا ::: فدعه ولا تُكثر عليه التأسفا
ففي النفس أبدال وفي الترك راحة ::: وفي القلب صبر للحبيب ولوجفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه ::: ولا كل من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صفوالوداد طبيعة ::: فلا خير في ودّ يجيء تكلفا
ولا خير في خلّ يخون خليله ::: ويلقاه من بعد المودّة بالجفا
وينكر عيشا قد تقادم عهده ::: ويظهر سرا كان بالأمس قد خفا
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها ::: صديق صادق الوعد مُنصفا

صور مشرقة للمحبة الصادقة:

١- النبي ﷺ والصدّيق أبو بكر رضي الله عنه:

٢- محبة صادقة في الله عز وجل، ولله عز وجل، ومن المواقف التي تدل على صدق المودة والمحبة، واختصاص المحب لما يدور في قلب أخيه الذي أحبه في الله عز وجل :

٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: **«إنّ الله خيّر عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله»**، قال: فبكى

أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هوالمخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**إنّ أمَنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودّته، لا يبقيّن في المسجد باب إلا سُدّ، إلا باب أبي بكر**»[١].

٤- قال ابن رجب في "لطائف المعارف":

٥- لما عرّض الرسول ﷺ على المنبر باختياره البقاء على البقاء ولم يصرّح، خفى المعنى على كثير ممن سمع، ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به، ثاني اثنين إذ هما في الغار، وكان أعلم الأمة بمقاصد الرسول ﷺ، فلما فهم المقصود من هذه الإشارة بكى وقال: بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا، فسكّن الرسول ﷺ من جزعه، وأخذ في مدحه والثناء عليه على المنبر، ليعلم الناس كلهم فضله، ولا يقع عليه اختلاف في خلافته، فقال: «**إنّ من أمَنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبوبكر**»[٢].

٢ – المهاجرون والأنصار:

ما حدث بين المهاجرين والأنصار أخوة صادقة، ومدح الله عزّ وجلّ الأنصار بقوله: "والذين تبوّؤا الدّار والإيمان من قبلهم يُحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن يوق شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون"[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: أتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا"[٤].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: أي من أكرمهم وشرف أنفسهم، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم، وقوله: " ولا يجدون في صدورهم حاجة

---

(١) رواه الشيخان.
(٢) رواه البخارى.
(٣) الحشر: ٩.
(٤) البخاري.

مما أوتوا" قال ابن كثير رحمه الله: أي ولا يجدون في أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به، من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة، وقوله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[1].

قال القرطبي: الإيثار هوتقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، ورغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة، أي يؤثرون على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم لا عن غنى بل مع احتياجهم إليها.

وقال رحمه الله: والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال.

ومن الأمثال السائرة: والجود بالنفس أقصى غاية الجود، هذا الحب لا لصنيعة سبقت من المهاجرين إليهم، وإنما الإيمان بالله الذي وحد بين قلوبهم، وهوالحب في الله الذي جمع بينهم، ففتحوا قلوبهم لإخوانهم في الدين، قبل أن يفتحوا لهم منازلهم.

٣) ومن هذه الصور المشرقة للمحبة الصادقة:

ما رواه القرطبي في "تفسيره" عن حذيفة العدوي قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي - ومعي شيء من الماء - وأنا أقول إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك، فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه، آه، فأشار إليّ ابن عمي أن أنطلق إليه، فإذا هوهشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع أخر يقول آه، آه، فأشار هشام أن انطلق إليه، فجئته فإذا هوقد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هوقد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هوقد مات.

آفات الصحبة:

بعد ذكر فضل المحبة في الله عز وجل والأخوة فيه، ومن تمام النصيحة التحذير من آفات الصحبة، ومنها:

---

(١) الحشر: ٩.

١) كثرة الزيارات:

فمن آفات الصحبة كثرة الزيارات والمجالس التي هي مجالس مؤانسة وقضاء وطر، أكثر منها مجالس ذكر وتذكير وتعاون على البر والتقوى، فيكون في هذه المجالس ضياع الأوقات وذهاب المروءات وقد يجرّ فضول الكلام إلى ما يغضب الملك العلام.

قال النبي ﷺ: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا على مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة**»[1].

قال ابن القيم رحمه الله في "الفوائد":

الاجتماع بالإخوان قسمان:

١) **أحدهما**: اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت، فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيّع الوقت.

٢) **الثاني**: الاجتماع بهم على أسباب النجاة والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها، ولكن فيه ثلاث آفات:

١ - إحداها: تزيّن بعضهم لبعض.

٢ - الثانية: الكلام والخلطة أكثر من الحاجة.

٣ - أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود.

وبالجملة فالاجتماع والخلطة لقاح إما للنفس الأمارة، وإما للقلب والنفس المطمئنة، والنتيجة مستفادة من اللقاح فمن طاب لقاحه طابت ثمرته وهكذا الأرواح الطيبة لقاحها من الملك، والخبيثة لقاحها من الشيطان، وقد جعل الله سبحانه بحكمته الطيبات للطيبين، والطيبين للطيبات، وعكس ذلك.

---

(١) قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي والألباني في الصحيحة.

٢) الإفراط في الحب والبغض:

ومن آفاتها الإفراط في الحب والبغض :

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا أسلم لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلفا ، قلت: وكيف ذلك؟ قال: إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه ، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضا تحب أن يتلف صاحبك ويهلك .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: أحبب حبيبك هونا ما ، عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما .

وقال أبوالأسود الدؤلي:

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا ::: فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت غير مباين ::: فإنك لا تدري متى أنت راجع

والمقصود الاقتصاد في الحب والبغض ، فإنّ الإسراف في الحب داع إلى التقصير ، وكذلك البغض ، فعسى أن يصير الحبيب بغيضا ، والبغيض حبيبا ، فلا تكن مسرفا في الحب فتندم ، ولا في البغض فتأسف ، لأن القلب يتقلب فيندم أو يستحي .

قال بعض الحكماء: ولا تكن في الإخاء مكثرا ، ثم تكون فيه مدبرا ، فيعرف سرفك في الإكثار ، بجفائك في الإدبار ، ويخشى مع ذلك مع فرط المحبة أن يوافقه على باطل ، أويقصر معه في واجب النصيحة لله عزّ وجل ، وقد تنقلب هذه المحبة إلى بغض مفرط ، ويخشى عند ذلك إفشاء الأسرار ، وترك العدل والإنصاف .

وعن الحسن قال : أحبوا هونا وأبغضوا هونا ، فقد أفرط أقوام في حب أقوام فهلكوا ، وأفرط أقوام في بغض أقوام فهلكوا .

٣) مخالطة المحبة شيء من هوى النفس:

ما كان لله دام واتصل ::: وما كان لغير الله انقطع وانفصل

ومن آفاتها أن يخالط هذه المحبة التي هي لله عز وجل وفي الله عز وجل شيء من هوى النفس ، فبدلا من أن يحب في أخيه طاعته لله عز وجل والتزامه بالشرع ، يحبه لملاحة صورة

أولمنفعة كإصلاح دنيا، وبدلا من أن يرجوبهذه المحبة ما عند الله عز وجل، ويتقرّب بها إليه، يرجوبها استئناسا بشخصه، أوتحقيقا لغرضه، وهذه المحبة سرعان ما تزول بزوال سببها، أو بشيء من الجفاء، فإنه ما كان لله بقي، كما يقال:

قال الله عز وجل: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وقال حاكيا عن خليله أنه قال لقومه: ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[2].

فنسأل الله أن يجعل محبتنا لمن نحبه خالصة لوجهه الكريم، ومقربة إليه وإلى داره دار السلام والنعيم المقيم، وأن تكون عونا لنا على طاعته، ودفعا لنا عن معصيته.

٤) الاستكثار من الإخوان:

ومن آفاتها الاستكثار من الإخوان، حتى يعجز عن القيام بحقوقهم ومواساتهم عند حاجتهم واضطرارهم.

قال في تنبيه المغترين: من أخلاق السلف رضى الله عنهم: أنهم لا يتخذون من الإخوان إلا من علموا من نفوسهم الوفاء بحقه، فإنّ أخاك إذا لم توف بحقه كان فارغ القلب منك.

وقال ابن حزم رحمه الله في "مداواة النفوس": ليس شيء من الفضائل أشبه بالرذائل من الاستكثار من الإخوان والأصدقاء، فإنّ ذلك فضيلة تامة مركبة، لأنهم لا يكتسبون إلا بالحلم والجود والصبر والوفاء والاستضلاع والمشاركة والعفة وحسن الدفاع وتعلم العلم وكل حال محمودة، ولكن إذا حصلت عيوب الاستكثار منهم، وصعوبة الحال في إرضائهم، والغرر في مشاركتهم، وما يلزمك من الحق لهم عند نكبة تعرض لهم، فإن غدرت بهم أوأسلمتهم لُؤّمت وذممت، وإن وفيت أضررت بنفسك، وربما هلكت فيكون

(١) الزّخرف: ١٧.
(٢) العنكبوت: ٢٥.

السرور بهم ، لا يفي بالحزن الممضّ من أجلهم " .

وقال عمروبن العاص : كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء .

وقال ابن الرومي:

عدوّك من صديقك مستفاد ::: فلا تستكثرنّ من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه ::: يكون من الطعام أوالشراب

٥) كشف الستر:

ومن آفاتها : كشف الستر عن الدين والمروءة والأخلاق والفقر وسائر العورات ، فإنّ الإنسان لا يخلوفي دينه ودنياه من عورات ، والأولى سترها ، كما مدح الله عزّ وجلّ المستترين فقال : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾[1] .

وقال الشاعر :

ولا عار إن زالت عن الحرّ نعمة ::: ولكن عارا أن يزول التّجمّل

وعن الحسن قال : أردت الحجّ فسمع ثابت البناني بذلك ، وكان أيضا من أولياء الله فقال : بلغني أنك تريد الحجّ ، فأحببت أن أصحبك ، فقال له الحسن : ويحك ، دعنا نتعاشر بستر الله علينا ، إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه قال الشيخ / أحمد فريد : ويتأكد ذلك في حق من تصدى لوعظ الناس ، فلا يكثر من صحبتهم ومخالطتهم في فضول المباحات ، حتى ينتفعوا بوعظه ، ويتمتع بستر الله عليه ، مما يكره عليه الناس من ذنوبه وعيوبه .

٦) هذه الآفة خاصة بصحبة الأغنياء:

ومن آفات صحبة الأغنياء إزدراء نعمة الله عليه وتحريك الطمع والحرص في قلبه وقد لا يتيسّر له فلا ينال إلا الغم بذلك ، وإنّ من نظر إلى زهرة الحياة الدنيا وزينتها تحرّك حرصه ، وانبعث بقوة الحرص طمعه ، ولا يرى إلا الخيبة في أكثر الأحوال ، فيتأذى بذلك . ومهما اعتزل لم يشاهد ، وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى : ﴿ ولاَ

---

(١) البقرة: ٢٧٣ .

تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ ﴾[١] .

وقال ﷺ : «**انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»[٢] .

قال عون بن عبد الله : كنت أجالس الأغنياء ، فلم أزل مغموما ، كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي ، ودابة أفره من دابتي ، فجالست الفقراء فاسترحت .

٧) **الاستئناس بالناس:**

ومن آفات الصحبة : الاشتغال بالإخوان عن تفريغ القلب للفكر والاستئناس بالله عز وجل الذي هوأول مطلوب القلوب وأعظم سبب لسعادتها ونجاتها وقد قيل : الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس .

قال بعض الحكماء : إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلوذاته عن الفضيلة ، فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ، ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم ، فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ، ليستعين بها على الفكرة ، ويستخرج العلم والحكمة[٣] .

* * * * *

(١) طه: ١٣١ .

(٢) رواه مسلم والبخاري بمعناه .

(٣) المحبة فى الله / موقع صيد الفوائد .

المبحث الثاني:

المحاسبة

الجهاد في سبيل الله المطلب الثاني: محاسبة النفس ومخالفتها؛

وذلك بالأمور الثمانية الآتية:

١ - محاسبتها على ما منحها الله تعالى من النعم العظيمة التي توجب عليها شكره والبعد عن معصيته. إن نعم الله سبحانه وتعالى على عبده لا يحصيها إلا هو سبحانه.

فمنه تعالى كانت نعمة خلق هذا الإنسان وإيجاده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر كما بين له طريق الخير والشر، وحثه على سلوك الأولى وحذره من الثانية. قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾[1].

ومنه سبحانه نعمة الرزق حيث سخر له السموات والأرض والنباتات والحيوانات في البر والبحر، ومنحه الأدوات التي تعينه على تناول ذلك الرزق - المنفصلة عنه كالآلات الزراعية وآلات الصيد وآلات الطهي وغيرها - والمتصلة به، وهي جوارحه وأجهزة جسمه كاليدين والرجلين والجهاز الهضمي والجهاز الدموي والجهاز التنفسي والجهاز الإخراجي وغيرها، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾[3] وقد شمل ذلك وغيره من نعم الله التي لا

---

(١) الإنسان: ١ - ٣.

(٢) الانفطار: ٦ - ٨.

(٣) النازعات: ٢٧ - ٣٣.

تحصى قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[١] وقوله: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[٢] وأعظم نعمة على الإنسان إنزال الكتب وإرسال الرسل لهدايته وبيان الهدى والضلال له ودعوته إلى الهدى وتحذيره من الضلال، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[٣].

٢ - تذكير النفس بأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأن كل شيء يعمله العبد فإنه محصًى عليه مكتوبٌ يحاسب عليه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٤].

وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾[٧].

وفي حديث جبريل: «**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٨].

اتق الله في كل مكان لأنه تعالى حاضر: ولهذا أمر الرسول اتق الله حيثما كنت[٩].

---

(١) النحل: ٥٣.
(٢) إبراهيم: ٣٤.
(٣) النحل: ٣٦.
(٤) ق: ١٦ - ١٨.
(٥) الانفطار: ١٠ - ١٢.
(٦) المجادلة: ٦.
(٧) الزلزلة: ٧ - ٨.
(٨) البخاري رقم ٥٠.
(٩) الترمذي / حديث حسن صحيح، جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٣٦.

obeikandl.com

٣ - تذكير النفس بالموت، وبأهوال يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين، وفيه تكشف الأسرار وتوزن الأعمال، فمن غلبت حسناته فاز ونجى، ومن غلبت سيئاته خسر وندم، ولات ساعة مندم، قال تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾[٢].

وقال: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى * فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[٣].

ويجب كذلك أن ينبهها من غفلتها وإعراضها ولعبها ولهوها وظلمها، بأن قيام الساعة كذلك قريب وهو أمر يجب أن يعد له العدة، كما قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[٤].

وعليه أن يصف لها أهوال هذا اليوم فيطلعها على مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلْ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[٥].

وعليه دائماً أن يوقظها من غفلتها بأن الموت على الرقاب فيجب أن يعد له العدة قبل أن يدهمه وهو على سخط الله تعالى، وقد أعذر الله إليها بما أعطاها من الفسحة في العمر كما قال تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾[٦].

---

(١) الانفطار: ١ - ٥.
(٢) القارعة: ٦ - ١١.
(٣) النازعات: ٣٤ - ٤١.
(٤) الأنبياء: ١ - ٣.
(٥) الحج: ١ - ٢.
(٦) فاطر: ٣٧.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[١].

وقال: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾[٢].

وبقوله ﷺ، في حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: «**يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف إذنيه**»[٣]. وقوله في حديث أبى هريرة: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**»[٤].

وكذلك يذكرها بالقبر ووحشته وعذابه الذي لا ينجو منه إلا صاحب العمل الصالح، ويذكر لها حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ - لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً**»[٥].

وهذا يدعو المؤمن أن يذهب بنفسه إلى القبور فيزورها ليتذكر الحياة وابتلاءه فيها والموت وما بعده، كما قال الرسول ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»[٦] وفي رواية في غير مسلم: «**فإن زيارتها تذكرة**»[٧].

«**فزوروا القبور فإنها تذكركم بالموت**»[٨].

---

(١) الأنبياء: ٣٤ - ٣٥.
(٢) التكاثر: ١ - ٢.
(٣) البخاري.
(٤) البخاري.
(٥) البخاري.
(٦) مسلم.
(٧) أبو داود.
(٨) أبو داود.

٤ – توجيه النفس إلى الاقتداء بأهل القدوة الحسنة:

وهم أصحاب السمو والرفعة الذين ارتفعت نفوسهم عن كل ما يخالف أمر الله من شهوات الدنيا وسفاسفها وملذاتها، حباً لله وطمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه. حتى يكون ممن تشمله رحمة الله ومغفرته، إذ يحقق بذلك محبة الله ومحبة رسوله وعباده الصالحين، والمرء مع من أحب، فإن أحب أهل الكفر والفسوق والعصيان فهو معهم في الدنيا والآخرة، وإن أحب أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين كان معهم في الدنيا والآخرة.

ألا ترى أن المسلم يجب أن يقرأ الفاتحة في كل ركعة يصليها لله فرضاً كانت أو نفلاً. وهو يدعو فيها بهذا الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[1] فمن هدي إلى صراط الله المستقيم مع المنعم عليهم، كان معهم يوم القيامة حيث يمر على الصراط مثلهم أو قريباً منهم، ومن ترك هذا السبيل واتبع سبلاً أخرى متفرقة، كان مع أهل تلك ا لسبل، وهم المغضوب عليهم والضالون.

وتذكير النفس بهذا الأمر من أعظم الدواعي لتزكيتها وتطهيرها وإعدادها للجهاد في سبيل الله.

قال ابن تيمية رحمه الله:

ومن هذا الباب – أي مما تستلزمه محبة الله ورسوله – ما استفاض عنهﷺ من حديث ابن مسعود وأبي موسى وأنس أن النبيﷺ قال: «**المرء مع من أحب**»[2] وفي رواية أنه سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم – أي ولما يعمل بأعمالهم – فقال: «**المرء مع من أحب**».

قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء بعد الإسلام فرحهم بهذا الحديث، فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن يجعلني الله معهم وإن لم أعمل عملهم.

---

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) مسلم: ٤/ ٢٣٢.

وهذا الحديث حق، فإن كون المحب مع المحبوب أمر فطري لا يكون غير ذلك، وكونه معه هو على محبته إياه، فإن كانت المحبة متوسطة أو قريباً من ذلك كان معه بحسب ذلك، وإن كانت المحبة كاملة كان معه كذلك، والمحبة الكاملة تجب معها الموافقة للمحبوب في محابه إذا كان المحب قادراً عليها، فحيث تخلفت الموافقة مع القدرة يكون قد نقص من المحبة بقدر ذلك، وإن كانت موجودة.

وحب النبي وإرادته يستلزم بغض ضده وكراهته، مع العلم بالمضاد، ولهذا قال تعالى: ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[1] والموادة من أعمال القلوب.

وليذكر المسلم نفسه بقصة يوسف عليه السلام التي يتضح بها التطبيق العملي لقول الرسول ﷺ: «**المرء مع من أحب**». فقد توافرت كل دواعي الإغراء والترغيب لوقوعه في معصية الله، ثم كل وسائل التهديد والترهيب.

ومع ذلك كان مع من أحب وهو الله سبحانه وتعالى - فلم تستهوه دواعي الإغراء والترغيب، ولم تخضعه وسائل التهديد والترهيب، بل لجأ إلى ربه مستغيثاً به فأغاثه قال: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾[2].

ولا يقال إن هذه المنزلة لا يبلغها إلا الأنبياء لأنهم معصومون، فإن الذي يقتدي بالأنبياء في مجاهدة نفسه وصبره ودعاء ربه واستعانته به يوفقه الله ويعينه، ويحول بينه وبين معصية الله وييسر له تزكية نفسه. وفي هذا تذكر قصة الثلاثة أهل الغار الذين فرج الله عنهم بتوسلهم إليه بأحسن أعمالهم التي تقربوا بها إليه مخلصين.

ومنهم ذلك الرجل الذي اجتهد في الوقوع في المعصية حتى تمكن منها فلما ذُكِّر بالله

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٠/ ٧٥٢) والآية في سورة المجادلة ٢٢.
(٢) يوسف: ٣٣، ٣٤.

ذكَر وخاف وترك لله: (وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة، قال ففرج عنهم الثلثين)[1]، فليقتد المؤمن في مجاهدة نفسه بعباد الله الصالحين حتى يكون في ركبهم.

٥- تذكير النفس بمعنى الحرية الحقة ومعنى الرق والعبودية المذلين.

لأن النفس دائماً تحب أن تنطلق في ميادين شهواتها، وتكره أن يقيدها أحد عن تلك الشهوات - مهما كانت - وتظن أن في ذلك حريتها، وأن في تقييدها عبودية وخضوعاً لمن يقيدها عن شهواتها، وهي لا تريد الخضوع لأحد، وإنما تريد الحرية الكاملة، ولم يمر زمان من الأزمان - فيما يظهر اشتهر فيه النداء بالحرية، وإن كان الناس ينطلقون في كل الأزمنة وراء شهواتهم كما يشاءون، وذلك يكثر ويقل حسب تربية الناس وتوجيه قادتهم - لم يمر زمان مثل هذا الزمان انتشرت فيه الدعوة إلى الحرية - بهذا اللفظ - والسبب في ذلك أن أعداء الله ممن يحبون إشاعة الفاحشة وتدنيس النفوس وبعدها عن الله تعالى، فسروا لها الحرية بعكس معناها والعبودية - كذلك - بعكس معناها، وعندما يسوء الإدراك والتصور يسوء السلوك والتصرف.

ففسر أعداء الله الحرية بأنها الانطلاق الكامل من كل قيد - حتى ولو كان هذا القيد صادراً من خالق السموات والأرض - وبنوا على ذلك بأن للإنسان أن يغشى كل ما تشتهيه نفسه وتهواه مالاً أو جنساً، أو منصباً أو غير ذلك، وله أن يدوس على حريات الناس كلهم ما دام يستطيع الوصول إلى بغيته وكل واحد عليه أن يباري غيره فمن عزَّ بزَّ ومن غلب استلب، وتسمية الأشياء بغير أسمائها للتضليل ليست جديدة، وإن اختلفت أساليبها ووسائلها.

---

(١) البخاري.

ألا ترى هذه العبارة الخبيثة التي أطلقها إبليس لإغراء آدم وتحريضه على معصية الله: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى ﴾[1] وعلى الرغم من ترغيب الله وتحذيره لآدم فإن قلب الحقائق عمل فيه عمله: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[2].

ولقد كذب عدو الله - الشيطان - وكذب أتباعه الكفرة الفجرة، فليس ما زعموه حرية بحرية، بل إنه الرق لا لجهة واحدة، بل لجهات لا تحصى ولا تعد إلا إذا أحصيت شهوات النفس وملذاتها التي يشتهيها ويهواها البشر، ومن يستطيع أن يحصى ذلك غير الخالق؟

فإن الإنسان لا يهوى شيئاً من الملذات، جنساً أو مالاً أو جاهاً أو غيرها، إلا ريثما يمله ويهوى غيره من جنسه، وهكذا يظل طول عمره وهو يهوى شيئاً ويمله، ويهوى غيره ويمله، فتبقى نفسه في طمع وهلع، طمع في ما تهوى ولم تحصل عليه، وهلع من مفارقة ما حصلت عليه أن يذهب من بين يديها.

والذي يهواه الإنسان يهواه غيره فينافسه فيه، وقد يرغب في شيء ويكره الآخر حصول ذلك الراغب عليه، فيقف ضده ويحول بينه وبينه، والنفس في كل ذلك أسيرة رقيقة لتلك الأشياء كلها حصلت عليها أو لم تحصل.

والحرية الحقة إنما هي حرية من حقق عبوديته لله وحده، فأطاعه في أوامره وازدجر عن نواهيه، ولو كره الناس منه طاعة ربه وازدجاره عن معاصيه، بل ولو كرهت نفسه ذلك.

عندئذٍ فقط يكون حراً لا تخضع نفسه لمال ولا لجنس ولا لمنصب أو جاه، ولا لشيء إلا لله الخالق الذي لا يستحق أحد غيره الخضوع المطلق والحب المطلق والطاعة المطلقة، وها هو القرآن كلام الله يصور ذ لك أبين تصوير ويوضحه أعظم توضيح.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ

---

(١) طه: ١٢٠.
(٢) طه: ١٢١.

يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[١] كما بين الرسول ﷺ أن الرق والأسر أن تصير النفس مستعبدة للملذات والشهوات كما قال: «**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم**»[٢].

واقرأ هذه الجمل لأحد عمالقة الحرية، وهو يبين معناها ومعنى الأسر والرق بياناً شافياً وهو ابن تيمية - رحمه الله - قال: "فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من استعبد بدنه واسترق لا يبالى إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص. وأما إذا كان القلب الذي هو الملك رقيقاً مستعبداً متيماً لغير الله، فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية لما استعبد القلب. وعبودية القلب وأسره هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب.

فإن المسلم لو أسره كافر واسترقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك، إذا كان قائماً بما يقدر عليه من الواجبات، ومن استعبد بحق إذا أدى حق الله وحق مواليه له أجران، ولو أكره على التكلم بالكفر، فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك. وأما من استعبد قلبه فصار عبداً لغير الله فهذا يضره ولو كان في الظاهر ملك الناس.

فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنى غنى النفس. قال النبي ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس**»[٣] وهذا لعمري إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة.

فأما من استعبد قلبه صورة محرمة: امرأة أو صبي، فهذا هو العذاب الذي لا يدانى فيه، وهؤلاء من أعظم الناس عذاباً وأقلهم ثواباً، فإن العاشق لصورة إذا بقى قلبه متعلقاً بها مستعبداً لها، اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى، فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضرراً عليه ممن يفعل

---

(١) الزمر: ٢٩.
(٢) البخاري.
(٣) البخاري.

ذنباً ، ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه"[١] .

فالذي يسترق قلبه لغير الله ، بل قل الذي لا تخلص عبوديته لله يكثر أسياده الذين يتشاكسون فيه ، ويصير كل واحد منهم يأمره بتنفيذ ما ينهاه عنه الآخر ، فهل تراه قادراً على تنفيذ أمر وضده في وقت واحد .

ولقد تعمق ابن تيمية - رحمه الله - في معنى الحرية والعبودية فأبان أن قادة الشعوب الذين لا يتمتعون بالحرية الحقيقية هم عبيد لعبيدهم وخدمهم ، فقال - رحمه الله -:

وكذلك طالب الرياسة والعلو في الأرض قلبه رقيق لمن يعينه عليها ، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم ، فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم ، فيبذل لهم الأموال والولايات ويعفو عنهم ليطيعوه ويعينوه ، فهو في الظاهر رئيس مطاع ، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم ، والتحقيق أن كلاهما - كذا - فيه عبودية للآخر ، وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله . وإن كان تعاونهما على العلو في الأرض بغير الحق بمنزلة المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق ، فكل واحد من الشخصين لهواه الذي استعبده واسترقه يستعبده الآخر"[٢] .

وإن مجاهدة الإنسان نفسه على إدراك هذا المعنى للحرية والعبودية معينة له عليها ، في خضم جموع البشرية الضالة المضلة ، واقرأ هذه القطعة التالية لأحد عمالقة الحرية في هذا العصر ، وهو سيد قطب - رحمه الله - قال: "ويغرق المجتمع في شهواته الهابطة ، ويمضي مع نزواته الخليعة ، ويلصق بالوحل والطين حاسباً أنه يستمتع وينطلق من الأغلال والقيود ، وتعز في مثل هذا المجتمع كل متعة بريئة وكل طيبة حلال ، ولا يبقى إلا الْمَشْرَع الآسن وإلا الوحل والطين ، وينظر المؤمن مِن عل إلى الغارقين في الوحل اللاصقين بالطين ، وهو مفرد وحيد ، فلا يهم ولا يحزن ولا تراوده نفسه أن يخلع رداءه النظيف الطاهر وينغمس في الحمأة وهو الأعلى بمتعة الإيمان ولذة اليقين"[٣] .

وبين سيد قطب أن الذي ينحل من عبوديته لله يقع في أحط أنواع العبوديات المتعددة

---

(١) ابن تيمية مجموع الفتاوى: ١٠/ ١٨٦ .
(٢) الفتاوى ١٠/ ١٨٩ .
(٣) معالم في الطريق صفحة ١٦٥ .

لغير الله ، فقال: "إن العبودية لله وحده هي العاصم للعبودية من الهوى والعاصم من العبودية للعباد ، وما يرتفع الإنسان إلى أعلى مقام مقدر له إلا حين يعتصم من العبودية لهواه كما يعتصم من العبودية لسواه .

إن الذين يستنكفون أن يكونوا عبيداً لله وحده ، يقعون من فورهم ضحايا لأحط العبوديات الأخرى ، يقعون من فورهم عبيداً لهواهم وشهواتهم ونزواتهم ودفعاتهم ، فيفقدون من فورهم إرادتهم الضابطة التي خص الله بها نوع الإنسان من بين سائر الأنواع ، وينحدرون في سلم الدواب ، فإذا هم شر الدواب ، وإذا هم كالأنعام بل هم أضل ، وإذا هم أسفل سافلين ، بعد أن كانوا ، كما خلقهم الله ، في أحسن تقويم"[1] .

طهروا قلوبكم بالمحاسبة:

يقول تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة) .

قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على أصحاب ﷺ فقال لهم الرسول ﷺ : «**قولوا: سمعنا وأطعنا**» ، فقالوا ذلك . . . فألقى الله الإيمان في قلوبهم وأنزل سبحانه وتعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [2] .

فَنسخت الآية التي قبلها تجاوز الله تعالى عن حديث النفس لأن القلوب ليست بأيدينا ، وقال ﷺ : «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**» [3] .

فإياكم إخواني وأخواتي من المعاصي والذنوب ؛ ولذلك وجب تصحيح النية في كل الأعمال لأن الكل محاسب على نيته . فقد قال ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل**

---

(١) في ظلال القرآن ١٠/ ١٥٢١ .
(٢) البقرة: ٢٨٦ .
(٣) متفق عليه عن أبي هريرة .

امرئ ما نوى.....»[١].

فلذا وجب علينا قبل أن ننام يوميا أن نجمع ونطرح ما لنا وما علينا في حصاد اليوم كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم " . فالمحاسبة أمر عظيم يجب على كل مسلم فعله من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة .

فوائد المحاسبة ومصالحها:

أن المرء يطّلع على عيوب نفسه ويكتشف أشياء تدهشك ولا يفقه الرجل حتى يمقت نفسه ويحتقرها في جنب الله ، وكان بعض السلف يقول في دعائه في عرفة (اللهم لا ترد الناس لأجلي)! ، وكان محمد بن واسع يقول: (لو كان للذنوب ريح ماقدر أحد أن يجلس إليّ)! ، مع أنه من كبار العباد في هذه الأمة ، وقال يونس بن عُبيد: (إني لأجد مائة خصلة من خصال الخير ما أعلم أن في نفسي منها واحدة)!

وهذا حمّاد بن سلمة دخل على سفيان الثوري وهو يحتضر فقال: (يا أبا عبد الله أليس قد أمنت مما كنت تخافه وتقدم على من ترجوه وهو أرحم الراحمين؟!) قال: (يا أباسلمة أتطمع لمثلي أن ينجو من النار) قال: (إي والله إني لأرجو لك ذلك) .

وقال جعفر بن زيد: (خرجنا في غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند العتمة فصلوا ثم اضطجع فقلت: لأرمقنّ عمله ، فالتمس غفلة الناس فانسلّ وثبا فدخل غيظة (مجموعة أشجار ملتفة) قريب منا ، فدخلت على أثره فتوضأ ثم قام يصلي فجاء أسد حتى دنا منه فصعدت في شجرة فتراه التفت إليه أو عدّه جرو! فلما سجد قلت الآن يفترسه فجلس ثم سلّم ثم قال: (أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر) ، فولّى وإن له زئيراً ، فمازال كذلك يصلي حتى كان الصبح فجلس يحمد الله وقال: (اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ومثلي يستحي أن يسألك الجنة)! ثم رجع وأصبح وكأنه بات على حشاياً ، أما أنا فأصبح بي ما الله به عليم من هول ما رأيت!

---

(١) رواه الشيخان عن عمر بن الخطاب .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اللهم اغفر لي ظلمي وكفري)، فقال قائل: (يا أمير المؤمنين هذا الظلم فما الكفر؟) قال: (إن الإنسان لظلوم كفّار)، فإذا تمعّن الإنسان حال السلف عرف حاله والبعد الشديد مابينه وبينهم.

إذاً ففي المحاسبة:

١- مقارنة حال بحال فينكشف التقصير العظيم.

٢- ومن التفكر في العيوب أن الإنسان ينظر في عمله ما دخل عليه فيه من العُجب والغرور فيرى نفس كاد أن يهلك ومهما عمل فهو مقصِّر.

٣- أن يخاف الله عزوجل.

٤- ومما يعين على المحاسبة استشعار رقابة الله على العبد وإطلاعه على خفاياه وأنه لا تخفى عليه خافية: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾. وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾.

٥- من الأشياء المهمة في المحاسبة التفكر في الأسئلة يوم القيامة وأن تعلم أنك مسئول يوم القيامة، ليس سؤال المذنبين فقط، فالله تعالى قال: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾، وإذا كان الصادقين سيسألهم الله عن صدقهم فما بالك بغيرهم؟! ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ وحتى الرسل يُسألون..!!!

* * * * *

obeikandl.com

المبحث الثالث:

الحيـاء

الحـياء خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق كل ذي حق والحييّ - من البشر- .

هـو الذي يعتريه تغير وانكسار خوفاً من أن يُعاب عليه بشيء، من الله أو من الناس، فالحـياء عاطفـة حـية تترفـع بهـا نفـس الإنـسان عـن الخطايا، وتستشعر بها الغضاضة من سفاسـف الأمـور، ويُـولد الحياء في الإنسان إذا عَلِم أن الله عز وجل ينظر إليه؛ لأن الحياء من الإيمان .

الحياء شعبة من الإيمان:

للإيمـان شُـعب كثيرة، ذكر عددها رسول الله ﷺ، لكنه ﷺخصَّ الحياء منها بالذكر، فعـن أبـي هريـرة عـن الـنبي ﷺقـال: «**الإيمـان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمـان**»[(١)]، وفي روايـة أخرى قال ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان**»[(٢)].

الحياء خُلقُ الإسلام:

قـد يكـون تخـصيص الحـياء بالذكـر دون غـيره مـن شـعب الإيمـان؛ لأنه أهم أخلاق الإسلام، روي عن النبي ﷺأنه قال: «**لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء**»[(٣)].

والحياء خُلقُ استرعى نظر الصحابة رضوان الله عليهم من أخلاقه ﷺ فقد كان حياؤه ﷺشديداً، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺأشد حياء من العذراء في خدرها[(٤)].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مالك بإسناد مرسل.
(٤) رواه البخاري.

obeikandl.com

الحياء ميزان الأعمال:

الحياء ميزان، وأصحاب الفِطر السليمة يعرفون صحة الأفعال بعدة موازين، منها ميزان الحياء، فتراهم لا يُقبِلون إلا على الأعمال التي لا تنال من حيائهم ويقبلونها، إنهم إن شاءوا أن يعملوا عملاً عرضوه على نفوسهم، فإن هم استحيوا منه لم يفعلوه، وإن لم يجدوا ما يستدعي الحياء منه فعلوه، أما مَنْ فقَدَ الحياء فهو يفعل ما يشاء ولا يبالي، فعن أبي مسعود عقبة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فافعل ما شئت**»[1].

الحياء خير كله:

وإذا كان هناك خُلقٌ هو خير كله، أو كله خير، فإنه الحياء، فعن عمران بن حُصين قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء خير كله أو قال: الحياء كله خير**»[2].

والتخوف الملازم للحياء ليس جبناً، فالحييُ قد يُفضل أن يُراق دمه على أن يريق ماء وجهه، وهذه هي الشجاعة في قمة صورها، والخوف في هذه الحال ليس بنقيصة؛ لأنه خوف فقط على مكارم النفس ومحامدها أن تذهب ببهائها ووقارها الأوضاع المحرجة، إنه تخُوف يسامي الجراءة في مواطنها المحمودة أو يساويها.

الحياء زينة:

هناك أمور تضفي على الأشياء زينة إن هي اقترنت بها، ومن هذه الأمور الحياء، إنه يُزيِّن كل شيء كان فيه، فعن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه**»[3].

التفريط في الحياء من أسباب الهلاك:

كان خوف سلفنا الصالح من التفريط في الحياء عظيماً، وشاع بينهم أن التفريط في

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الترمذي.

الحياء سبب من أسباب الهلاك، إنه حلقة من سلسلة طويلة تجر حلقاتها بعضها بعضاً، في أولها نزعُ الحياء وفي آخرها التفريط في عهد الإسلام وتعاليمه.

حياء الرجل وحياء المرأة:

الحياء مطلوب للرجل ومطلوب للمرأة، فقد روي أن رسول الله ﷺ مرّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «**دعه، فإن الحياء من الإيمان**»(١).

لكن فطرة المرأة تجعل حياءها أشد؛ لذلك قد يخدشه ما هو أدق وأخف مما يخدش حياء الرجل، وإذا كان حياء الرجل يظهر عملياً في تجنبه المواقف التي قد تجر عليه العيب، فإن حياء المرأة أيضاً له مظاهر عملية تضاف إلى ذلك.. إن المرأة الحيية لا تحدق النظر فيمن تحادثه، وإذا ضحكت في حضور الغرباء فإنها تحرص على ألا يتجاوز ضحكها مستوى الابتسام، فلا تقهقه بصوتٍ عالٍ، كان ﷺ يفعل ذلك مع أنه رجل، فعن عبدالله بن الحارث بن جزء قال: ما كان ضَحِكُ رسول الله ﷺ إلا تبسماً(٢).

والمرأة إذا أرادت شراء زينتها الخاصة- من ملابس وغيرها- يمنعها حياؤها أن تشتري تلك الأشياء من رجل، وإنما تبحث عن امرأة مثلها تشتري منها.

الواجبات:

ما ذكرنا من مظاهر وأعمال مرتبطة بالحياء يجب أن تكون واجبات عملية شخصية محددة، فلنركز لمدة معينة على متابعتها ومراقبتها في أنفسنا؛ عسى أن نستوثق من تغلغل خلق الحياء في سلوكنا، فنحسب لأنفسنا: كم مرة تنبهتُ فغضضت بصري؟ وكم مرة سهوت فتماديت؟ ولتعاهد الله كل مسلمة أن لا يتجاوز ضحكها مستوى الابتسام دون صوت، خاصة في وجود الرجال الغرباء. ولا تنسى المسلمة مراعاة شراء خصوصيات زينتها، التي لا يطلع عليها إلا زوجها، من البائعات دون البائعين.

ولعل هذه الواجبات العملية تكون تربية وتدريباً للنفس طوال هذه الفترة، عسى أن

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي وصححه.

نصل في وقت لاحق إلى أن يكون الحياء خُلقاً دائماً فينا ولنحفظ من الأحاديث الشريفة التي أوردناها ما استطعنا، ففي ذلك عون لنا في تأكيد هذه المعاني في نفوسنا، وسند لنا حين نريد تبليغ هذا الأمر للناس، وعلينا عندما ندعو غيرنا إلى هذا الخلق ألا نقتصر على أناس دون أناس، فلنؤد عن أنفسنا زكاة العلم وزكاة الخلق، بأن نهدي هذا المعنى لكل المسلمين والمسلمات[1].

ثمرة الحياء:

لما مرضت (فاطمة الزهراء) رضي الله عنها مرض الموت الذي توفيت فيه، دخلت عليها (أسماء بنت عميس) رضي الله عنها تعودها وتزورها فقالت (فاطمة) لـ (أسماء) والله إني لأستحي أن أخرج غدا (أي إذا مت) على الرجال جسمي من خلال هذا النعش!!

وكانت النعوش آنذاك عبارة عن خشبة مصفحة يوضع عليها الميت ثم يطرح على الجثة ثوب ولكنه كان يصف حجم الجسم، فقالت لها (أسماء) أو لا نصنع لك شيئاً رأيته في الحبشة؟!

فصنعت لها النعش المغطى من جوانبه بما يشبه الصندوق ودعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت على النعش ثوباً فضفاضا واسعا فكان لا يصف! فلما رأته (فاطمة) قالت لـ (أسماء): سترك الله كما سترتني!!

قال: (ابن عبد البر) عن فاطمة الزهراء: هي أول امرأة غطي نعشها في الإسلام على تلك الصفة!

بعد علمي بتلك القصة فكرت كثيراً فما أشد حياءها حتى بعد مماتها!

فلماذا تتبرج النساء؟

هل هي فطرة المرأة.. لا، فالأصل هو الحياء، ولو أدركت النساء مدى جمال ثوب الحياء، وروعة زينة التحلي به، وقوة تأثيره الباطني على الجوارح؛ لأيقنّ أنه فعلاً كله خير،

---

(١) من كتاب في رياض الجنة.

ولحافظن عليه حتى آخر رمق . . سبحان الله هو الرداء الأول الأساسي الرادع لكل ما هو مشين: «**إذا لم تستح فاصنع ما تشاء**» .

وعندما نظرت في رداء المرأة الأوروبية وجدت أنه لا يخضع لشريعة أو قيم أو أعراف بل يخضع لمقاييس الفتنة وإبراز الجمال بل إن جسدها هذا ليس له حرمة بإرادتها فيتعرض لأكثر من يد تلمسه وتعبث به وهذا شيء جَدُّ طبيعي عندهم ، عندها أدركت سبب عدم تواجد خلق الحياء عندهم ، فعندما يفقد الجسد قيمته لا يهم مقدار العري الذي يظهره!

لكن ما بال فتياتنا هنا؟!

كلما شاهدت لباسهن الفاضح أو حجابهن المشوه أتألم للجاهلية التي يعشن بها وتذكرت تلك العجوز التي شاهدتها في الطابق الثاني في أحد البنوك والتي عندما طلبت منها الموظفة كشف وجهها لتطابقه مع الهوية قالت: أخشى أن أُكْشَف من الخارج!!

فأي تقوى وورع فى قلب يخلو من الحياء؟!

واليوم وبمشاهدة اختلاط النساء مع الرجال في كثير من المؤسسات الخاصة والعامة ومرافقها إضافة لتبرجهن البشع ، بل مجرد التعود على مشاهدة تلك الأمور ينزع من النفس الحياء رويداً رويداً ، وما يؤلم أنه إن ذهب الحياء فلن يرجع أبدا ، وإذا ذهب الحياء من القلب فليصنع ما يشاء . . .!!!!

* * * * *

openkanal.com

المبحث الرابع:

التقـوى

الـتقوى شـيء عظـيم ومنـزلة سـامية وهي أساس الدين ولا حياة إلا بها بل إن الحياة بغيرهـا لا تُطـاق بل هي أدنى من حياة البهائم فليس صلاحٌ للإنسان إلا بالتقوى ، هي كنزٌ عزيز لئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وخيرٍ كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنمٍ جـسيم وملـكٍ عظـيم ، فكـأن خـيرات الدنـيا والآخـرة جُمِعَت فجُعِلَت تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى . .!

وتأمـل مـا في القـرآن مـن ذكـرها ، فكـم عُلِّـق بها من خير ، وكم وُعِد عليها من خير وثواب ، وكم أضيف إليها من سعادة . .!

هذه التقوى ظلالٌ طاب العيش فيها . . هذه التقوى حياة كريمة . . فما هي وما تعريفها وكيف تحصل التقوى وماهي ثمراتها وما درجاتها وماهي الأسباب المعينة عليها . .؟

الـتقوى هـي الاسـم مـن التقـى والمـصدر الاتقاء وهي مأخوذة من مادة وقى فهي من الوقاية ، وهي ما يحمي به الإنسان نفسه ، وتدل على دفع شيء عن شيء لغيره ، فالوقاية ما يقي الشيء ، ووقاه الله السوء وقاية أي حفظه . .

وأما المعنى الشرعي فقد ذكر العلماء في تعريفها عدة عبارات فمن ذلك قولهم . .

أن تجعل بينك وبين ما حرم الله حاجباً وحاجزاً . .

امتـثال أوامـر الله واجتـناب النواهـي فالمـتقون هم الذين يراهم الله حيث أمرهم ، ولا يقدمون على ما نهاهم عنه . .

الـتقوى هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل . .

التقوى أن يجعل المسلم بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وذلك بفعل طاعته واجتناب معاصيه . .

"وقد سأل عمر رضي الله عنه أُبي بن كعب فقال له: ما التقوى؟ فقال أُبي: يا أمير المؤمنين أما سلكت طريقاً فيه شوك؟ قال: نعم . . قال: مافعلت؟ . . قال عمر: أشمّر عن ساقي وأنظر إلى مواضع قدمي وأقدم قدما وأؤخر أخرى مخافة أن تصيبني شوكة . . فقال أُبي ابن كعب: تلك التقوى . .! "، فهي تشمير للطاعة ونظر في الحلال والحرام وورع من الزلل ومخافة وخشية من الكبير المتعال سبحانه وتعالى . .

التقوى هي أساس الدين، وبها يرتقى إلى مراتب اليقين، هي زاد القلوب والأرواح فبها تقتات وبه تتقوى وعليها تستند في الوصول والنجاة . .

قال ابن رجب - رحمه الله -: أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه . .

وسائل التقوى وثمراتها:

ومن الأسباب الباعثة على التقوى ما يلي:

١- كثرة العبادة: لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

٢- أداء العبادة على الوجه الأكمل: لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ .

٣- الجدية في التعامل مع شرع الله تعالى: لقوله تعالى: ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

٤- تطبيق الحدود الشرعية: بقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

٥- إقامة شعائر الإسلام والتحلي بمكارم الأخلاق: لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ

وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ .

٦- الصيام: لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

٧- تعظيم شعائر الله: لقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ .

٨- العدل: لقوله تعالى: ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ .

٩- العفو: لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ .

١٠- تعظيم الرسول ﷺ وتوقيره: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ ، وذلك يشمل الرسول ﷺ حيا وميتا ، ويكون عدم رفع الأصوات عليه ميتا باحترام سنته ، وانتهاج طرقته ، وعدم مجاوزة هديه إلى غيره من زبالات الأذهان ونخالات الأفكار والمذاهب والآراء .

كذلك جميع الطاعات من أسباب حصول التقوى ، وجميع المعاصي من معوقات حصول التقوى ، كما قال طلق بن حبيب رضي الله عنه: التقوى: أن تعمل بطاعة الله ، على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله ، على نور من الله تخاف عقاب الله .

ثمرات وفوائد التقوى:

١- البشرى بما يسر في الدنيا والآخرة: لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ .

٢- البشرى بالعون والنصرة: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ .

٣- التوفيق للعلم: لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ .

obeikandi.com

٤- الهداية للصواب والتمييز بين الحق والباطل: لقوله تعالى: ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً ﴾ .

٥- البشرى بتكفير الذنوب وتعظيم أجر المتقين: لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾ .

٦- البشرى بالمغفرة: لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ .

٧- اليسر والسهولة في كل أمر: لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ .

٨- الخروج من الغم والمحنة: لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ .

٩- الرزق الواسع دون عناء أو مشقة: لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ .

١٠ النجاة من العذاب والعقوبة: لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ .

١١- التزكية بالكرامة: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

١٢- البشارة بالمحبة: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

١٣- حصول الفلاح: لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

١٤- نيل الجزاء وعدم إضاعة العمل: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

١٥- القبول وعدم الرد: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

١٦- الفوز بالجنة: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .

١٧- الأمن والمنزلة الرفيعة: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ .

١٨- عز الفوقية على الخلق: لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

١٩- تنوع الجزاء وتعدد اللذات: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً وَكَأْساً دِهَاقاً ﴾ .

٢٠- القرب من الله تعالى يوم القيامة مع التمتع باللقاء والرؤية: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ .

٢١ - ومن أهم ما يُكافأ به المتقي أنه يُعطى العلم النافع من جرّاء التقوى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، فيعلمكم الحلال والحرام ومصالحكم وحفظ أموالكم وما أمركم وما نهاكم عنه ويعلمكم كل ما تحتاجون إليه ، ومن أسباب نقصان العلم ونقص الحفظ وذهاب المسائل وعدم انفتاح النفس للعلم وعدم الحماسة للعلم ؛ المعاصي فهي تصد النفس عن العلم . ومن أسباب تحصيل العلم وانفتاح الذهن والقلب والحماس له ؛ التقوى .

٢٢ - البصيرة من أعظم ما يرزق به المتقي ، فتكون له بصيرة وفرقان يفرّق به بين الحق والباطل وأن يكون له نور من ربّه يضيء دربه فيحذر الشر ويرجو الخير ويوفَّق ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ ، الفرقان في اللغة الذي يفرّق بين الليل والنهار ، كالصبح يفرق بين الحق والباطل .

٢٣ - محبة الله والملائكة للعبد ، ومحبة الناس لهذا العبد ، ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، وإذا أحبه نادى جبريل أن يحبه ، ويحبه أهل السماء ثم يحبه أهل الأرض ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾ أي مودة منه ومن الملائكة وفي قلوب العباد .

٢٤ - نصرة الله للمتقي وتأييده له وتسديده ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، والمعيّة هذه معية نصرة وتأييد وتسديد ، وهو سبحانه وتعالى أعطاها للأنبياء المتقين فقال لموسى وهارون ﴿ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ، ﴿ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ فهو معه فلا يخاف .

٢٥ - يرزق بركات من السموات والأرض ، والبركة تكثير القليل ، الكثرة ، الزيادة ،

الخير، العافية، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، وهذا معناه أنه وسّع عليهم في الخير ويسّره لهم بسبب التقوى ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾.

٢٦ - البشرى.. سواء كانت ثناء من الخلق، أو رؤيا صالحة، من الملائكة عند الموت، ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾. ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، فإن أثنى الناس عليه لعمل ما قصد إظهاره فإن هذا من عاجل بشرى المؤمن.

٢٧ - الحفظ من كيد الأعداء، فإن الإنسان لا يخلو من عدو حاسد ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ فيدفع الله عنه شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال التقوى.

٢٨ - ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾، فأرشد الله الآباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم لكي يحفظ أبناءهم، ويغاثون بالرعاية الإلهية بل يحفظ فروع الفروع..!، ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ ولكن هناك أمر مهم وهو ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾ فحفظ الله الأبناء بصلاح ذلك الأب..، يقول محمد بن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها والدويرات التي حولها فما يزالون في حفظ الله وستره..، قال ابن المسيب: يا بني إني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن أُحفَظ فيك وتلا الآية ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾، طبعاً هو يصلي لله، وابن المسيب أفقه من أن يرجو على عمله فقط ثواباً دنيوياً ولكنه يرجو تبعاً للثواب الأخروي أمراً في الدنيا والله تعالى كريم يعطي أموراً في الدنيا والآخرة على العبادات.

٢٩ - التقوى سبب قبول العمل وهذا من أعظم الأشياء ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أجاب بها الأخ الصالح أخاه الفاجر الذي قتله.

وكان بعض السلف يقول: لو أعلم أن الله تقبّل مني سجدة واحدة لتمنّيت الموت

٣٠ - التقوى سبب للنجاة من عذاب الدنيا ﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ .

٣١ - التقوى يُجعل للإنسان بها حلاوة وشرف وهيبة بين الخلق لأن الإنسان يحب أن تكون لـه مكانة بين الناس .

٣٢ - التقوى توصل إلى مرضاة الرب عز وجل وتكفير السيئات والنجاة من النار والفوز بالجنة وهذا هو قمة المطلوب وأعلى مراد المسلم أن الله عزوجل يدخله الجنة ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾ ، والنجاة من النار ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ يدخلهم الأنهار ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ .

والدار الآخرة للمتقين يوم القيامة ، ويجمع الإنسان بأحبابه إذا اتقى ربه ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، وهؤلاء على سرر متقابلين كما قال الله ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ فيأتون إلى الجنة زمراً زمراً ، مجموعات ووفود إلى الله تعالى مكرمين ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً ﴾ .

وغير هذا كثير من فوائد وثمرات التقوى نتأملها فى كتاب الله تعالى فهذا على سبيل المثال لا الحصر .

كيف نكون أتقياء ؟

١- أن نحب الله أكثر من أي شيء .

٢- أن نستشعر مراقبة الله دائماً .

٣- أن نعلم عاقبة المعاصي .

٤- أن نتعلم كيف تقاوم هواك وتتغلب عليه .

٥- أن ندرك مكائد الشيطان ووساوسه .

وهذه الأشياء سهلة بالقول وصعبة في التطبيق . . ، فبعض الناس يغفل وينسى: «**اعبد الله كأنك تراه**» . .

إذا مـا خلـوتَ الدهـر يوماً فلا تقل ::: خلـوتُ ولكـن قـل عليّ رقيـب
ولا تحسبنّ الله يغفـل ساعـة ::: ولا أنّ مـا يخفـى عليه يغيـبُ

وأما مسألة معرفة مافي الحرام من المفاسد والآلام فإن الإنسان يكفي أن يتأمل فيما حصل للكبار، وما حصل للأقوام السابقة، ما الذي أخرج الأبوين من الجنة؟ من دار النعيم واللذة والسرور إلى دار الآلام والأحزان..؟؛ المعصية..!.. فالحرام يترتب عليه مفاسد ومصائب..

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ باطنه وظاهره فجعله في أقبح صورة وبدّله بالقرب بعداً وبالرحمة لعنة وبالجنّة ناراً تلظّى فهان على الله غاية الهوان وصار فاسقاً مجرماً قاد البشرية إلى كل فساد وشرّ؟؛ المعصية..!

ما الذي أغرق أهل الأرض جميعهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال..؟، ما الذي سلّط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم صرعى على سطح الأرض..؟، ما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطّعت قلوبهم في أجوافهم..؟، ما الذي رفع قرية سدود.. قرية قوم لوط.. حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأتبعها بحجارة وجعل مكانها شيئاً منتناً لا يكاد يوجد فيه حياة..؟،

وما الذي أرسل على قوم شعيب عذا ب الظُّلّة، لما صار فوق رؤوسهم أمطرهم ناراً تلظّى..؟، وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم تعرض عليها صباح مساء؟ فالأجساد للغرق والأرواح للحرق والموعد يوم القيامة..!

وكذلك فالإنسان لابد أن يتعلم كيف يغالب هواه وابتداءً من معالجة الخواطر، أول ما تأتي الخاطرة بالمعصية أو بالشر يطردها، وهذا هو العلاج الناجع؛ أن الإنسان يدافع الهوى والخاطرة ويتغلّب عليها، ولا بأس أن يفطم نفسه عن المعاصي ولو كان ذلك شيئاً مكروهاً بالنسبة له، فالصبر على الحرام ليس سهلاً بل فيه ألم لكن يعقبه لذّة وراحة يوم الدنيا..

ولاشك أن هذا كما تقدم فيه غصّة في البداية لكن أحسن من الشوك والغسلين والضريع يوم القيامة والإنسان أحياناً يترك المعاصي شهامة ورجولة لو تأمل ما فيها من

الخسّة . .

وأغـضّ طـرفي إن بـدت لي جـارتي ::: حـتى يـواري جـارتي مأواهـا

إذا كـان هذا العربي قبل الإسلام يفاخر أنه يغض طرفه عن جارته فبعد الإسلام كيف يجب أن نكـون . .؟ ، إذا كـان الفرد يمكن أن يترك بعض المعاصي خجلاً من الناس . . فما باله إذا فكر من جهة الله . .؟ سيكون الترك أعظم . .!

ثـم يجـب علـى المرء أن يعرف مكائد إبليس لكي يتقيه وإبليس لـه عدة طرق في إغواء الـناس فينبغـي أن ينظـر فـيها ، كـيف يشغله مثلاً بالمفضول عن الفاضل وهذا أنزل المراتب وكيف يبدأ به من الشرك أولاً . .!

صفات المتقين:

١- ذكـر الله مـن صـفاتهم أنهـم يؤمنون بالغيب إيماناً جازماً ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ .

٢- يعفون ويصفحون ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ .

٣- لا يقترفـون الكبائـر ولا يـصرون علـى الـصغائر ، وإذا وقعوا في ذنب سارعوا إلى الـتوبة مـنه ﴿إِنَّ الَّـذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ سارعوا مباشرة إلى التوبة والإنابة إذا أصابتهم صغيرة .

٤- يتحـرون الصّدق في الأقوال والأعمال ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ، الذي جاء بالصدق هو محمد ﷺ ، والذي صدق به قيل هو أبو بكر الـصديق رضـي الله عـنه . ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ، هـذا بيان أن المتقي يصدق .

٥- يعظمـون شـعائر الله ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ، ومـا معنـى تعظـيم شـعائر الله؟ ؛ أن المـرء يعظم حرمات ربه فلا ينتهكها ، ويعظّم أوامـر الله فيأتـي بهـا على وجهها ، ويأتي بأنفس الأشياء ، فلو طُلِب منه هدي في الحـج أو أضـحية استسمنه واستحسنه وأتى به على أحسن وأنفس وأغلى ما يجد ،

هذا من تعظيم شعائر الله . وكان إشعار الهدي وهو تعليمه بعلامة حتى لا يؤخذ أو إذا ضاع يُعرف هذا ما يفعله الحاج من السنة .

٦- يتحرون العدل ويحكمون به ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ . الآية أساساً في المشركين والمشركون يكرهون ويبغضُون لأجل شرك والكفر ومع ذلك أمرنا أن نعدل فيهم . وعلي بن أبي طالب لما اختصم مع يهودي ، حكم عليه القاضي لما لم يأتِ ببينة ، وسُلّمت الدرع لليهودي ، فاندهش اليهودي كيف يُحكم له على أمير المؤمنين ، والدرع كان لعلي رضي الله عنه ولم تكن له بيّنة ، قال شهودي الحسن والحسين ، قال لا تجوز شهادة الأبناء للأب ، قال سيّدا شباب أهل الجنة ، قال هذا في الجنّة . . ، فمن دهشة اليهودي مما رأى قاليا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، الدرع درعك ، سقطت منك وأنت خارج إلى صفّين ، فاختلستها . إذاً إذا رأى الكفار عدل المسلمين يمكن أن يسلموا .

٧- المتقين يتبعون سبيل الأنبياء والصادقين والمصلحين يكونون معهم ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ، فأهل الصدق هم أصحاب المتقين وإخوانهم ورفقاءهم وأهل جلوسهم وروّاد منتدياتهم .

٨- يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس لأجل حديث «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**» ، تمام التقوى أن تتقي الله حتى تترك أحياناً ما ترى بعض الحلال خشية أن تكون حراماً ، النبي ﷺ كان يرى تمرة فيريد أن يأكلها فيتركها لأنه يخشى أن تكون سقطت من تمر الصدقة . والورع يجب أن يكون ورعاً صحيحاً ، فبعض الناس يفعلون الكبائر ثم يتورعون عن الأشياء اليسيرة . .! . "

* * * * *

المبحث الخامس:

الـورع

لغـــة: ورِع ، يـرِعُ ، مأخـوذ مـن مادة وَرَعَ التي تدل على الكفّ والانقباض عن ما لا ينبغي ويقال توّرع أي تحرّجَ ، والورع التقوى .

اصـــطلاحا: تـرك مـا يـريبك ونفسي مـا يعيبك والأخـذ بالأوثق وحمل النفس على الأحوط ، والورع اجتناب الشبهات ومراقبة الخطرات .

وقـال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الورع: "عمّا قد تُخَاف عاقبته وهو ما يُعلَم تحـريمه وما يُشَك في تحريمه وليس في تركه مفسدة أعظم من فعله - فهذا قيدٌ مهم في الأشياء المشكوك فيها - ، وكذلك الاحتيال بفعل ما يشك في وجوبه ولكن على هذا الوجه" .

وعرف ابن القيم رحمه الله بقولـه: " ترك مايُخشى ضرره في الآخرة" .

الـورع معـشر الإخـوة الكرام مصطلح نبوي شرعي ؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ في وصيته لأبـي هريـرة رضـي الله عـنه: "كـن ورعـاً تكن أعبد الناس ، وكن قنعاً تكن أشكر الناس ، وأحـب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً ، وأَقِلّ الضحك ؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب"[(١)] .

مـن حديث سعد أنه ﷺ قال: «**فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع**»[(٢)] .

ففـي هـذه النصوص الصحيحة عنه ﷺ أطلق ﷺ فيها هذا اللفظ وهذا المصطلح ، فهو إذن مـصطلح شـرعي نبوي ، وإن كان ليس من شروط هذه المصطلحات أن ترد بنصها عن النبي ﷺ ، فما دام المصطلح لا يعارض النصوص الشرعية فلا مشاحة في الاصطلاح .

أمـا الأدلة لـه على معنى الورع دون لفظه فهي أدلة كثيرة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ،

---

(١) رواه البيهقي .

(٢) رواه الحاكم والطبراني في الأوسط .

ومنها الحديث العظيم الجامع الذي جعله جمعٌ من أهل العلم أحد الدعائم التي يقوم عليها الإسلام، وهو حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحلال بيّن وإن الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه**»(١).

والحديث مشهور في كتب السنة بروايات عدة، ويحفظه الصغير والكبير، وهو قاعدة في التورع مما يشتبه منه، مع أن معنى الورع - كما سيأتي - يأخذ مدى أكبر من هذا المدى ودائرة أوسع من هذه الدائرة، والتورع عن المشتبهات والبعد عنها ليس إلا باباً من أبواب الورع.

ومن الأدلة في هذا المعنى حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»(٢).

وحين جاء وابصة بن معبد إلى النبي ﷺ فقال له ﷺ: «**جئت تسأل عن البر**»، فقال: نعم، قال له ﷺ: «**استفت قلبك؛ البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك**»(٣)، وهذا الحديث فيه إيماء وإشارة إلى تلك الحساسية المرهفة التي يملكها عباد الله الصالحون؛ فصارت نفوسهم تطمئن إلى البر وترتاح إليه، وصارت نفوسهم تأنف من المعصية وإن أفتاها الناس وأفتوها، ولا شك أن هذا الحديث مع ما فيه من الدلالة على الأمر بالتورع مما حاك في الصدر وإتيان ما اطمأنت إليه النفس، فهو إشارة إلى حال الصالحين وحال قلوبهم التي ترى بنور الله سبحانه وتعالى؛ فتطمئن هذه القلوب للبر والهدى والتقى والصلاح، وتشعر باشمئزاز ونفور وتردد من الإثم وأسبابه، ولو أفتاها الناس، وهذا المقياس في مسألة البر والإثم ليس إلا لعباد الله الصادقين، بل لعله أن يكون أمارة نختبر بها قلوبنا؛ فإن كانت تطمئن للبر

---

(١) الأربعين النووية صفحة ٣٨/ النووى.
(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه.
(٣) رواه أحمد والدارمي، وله شاهد عند الإمام أحمد من حديث ثعلبة.

والصلاح والتقوى وتشمئز من المعصية والسيئة وتنفر منها فهي قلوب صالحة بإذن الله ، وإن كانت دون ذلك فهي بحاجة إلى تزكية وإصلاح .

وهو ليس خطاباً للمعرضين الذين علا الران على قلوبهم ، فأصبحت نفوسهم مأسورة بهواها وشهواتها ، فقلبه ونفسه إنما تطمئن لمعصية الله سبحانه وتعالى وإيذاء عباده المؤمنين المتقنين ، بل كم من الناس انقلبت الموازين لديه فأصبحت السيئة حسنة والحسنة سيئة .

إذن فهذا المقياس إنما هو لأولئك الصالحين الذين توجهت قلوبهم لله سبحانه وتعالى فأصبح القلب لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله سبحانه وتعالى ، ولا يتوجه إلا لله ، وقبلته إلى الله عز وجل لا يفارقها ؛ فكما أنه يستقبل القبلة في صلاته ويقف بين يدي الله عز وجل كل يوم خمس مرات فقلبه إنما قبلته لله لا يمكن أبداً أن يستقر في قلبه محبة غير الله أو التوجه له ، أو أن يكون فيه إرادة تخالف أمر الله سبحانه وتعالى وشرعه ، لهذا ارتقت هذه النفوس إلى هذا القدر ؟فصارت تطمئن للبر وتشمئز من الإثم ؛ فمنحها الله عز وجل هذا النور وهذا الفرقان وفي آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ .

أيها الورع انتبه...

١ – الورع منه واجب ومنه مستحب:

كثير من الناس حينما يطلق مصطلح الورع ينصرف ذهنه إلى دقائق الورع ، والبعد عن المشتبهات ؛ فيرى أن الورع ليس ضمن دائرة الواجبات إنما هو مقام للخاصة والصالحين ، وليس واجباً على أحاد الناس .

قال شيخ الإسلام: " فأما الورع المشروع المستحب الذي بعث الله به محمداً ﷺ فهو اتقاء ما يخاف أن يكون سبباً للذم والعذاب عند عدم المعارض الراجح ، ويدخل في ذلك أداء الواجبات والمشتبهات التي تشبه الواجب ، وترك المحرمات والمشتبهات التي تشبه الحرام ، وإن أدخلت فيه المكروهات قلت: يخاف أن تكون سبباً للنقص والعذاب ، وأما الورع الواجب فهو اتقاء ما يكون سبباً للذم والعذاب ، وهو فعل الواجب وترك المحرم ، والفرق

بينهما (أي بين الورع الواجب والمستحب) فيما اشتبه أمِن الواجب أم ليس منه؟ وما اشتبه تحريمه أمن المحرم أم ليس منه"؟

٢ – أن ما لا ريب في حله ليس فيه ورع بل الورع فيه من التنطع:

قال رحمه الله: "وأمَّا ما لاريب في حله فليس تركه من الورع، وما لا ريب في سقوطه فليس فعله من الورع".

٣ – الورع يكون في الفعل كما هو في الترك:

وذلك أن البعض من الناس يعتقد أن الورع يكون في الترك فقط، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لكن يقع الغلط في الورع من ثلاث جهات: أحدها اعتقاد كثير من الناس أنه من باب الترك فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام لا في أداء الواجب، وهذا يُبتلى به كثيرٌ من المتدينين المتورعة، ترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة وعن الدرهم فيه شبهة لكونه من مال ظالم أو معاملة فاسدة، ويتورع عن الركون إلى الظلمة من أجل البدع في الدين وذوي الفجور في الدنيا، ومع هذا يترك أموراً واجبة عليه إما عيناً وإما كفاية وقد تعيَّنت عليه من صلة رحم وحق جار ومسكين وصاحب ويتيم وابن سبيل وحق مسلم وذي سلطان وذي علم، وعن أمر بمعروف ونهي عن منكر وعن الجهاد في سبيل الله إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما وجب عليه، أو يفعل ذلك لا على وجه العبادة لله تعالى بل من جهة التكليف ونحو ذلك".

٤ – أن الورع إنما هو بأدلة الكتاب والسنة:

قال رحمه الله: "الجهة الثانية من الاعتقاد الفاسد: أنه إذا فعل الواجب والمشتبه وترك المحرم والمشتبه، فينبغي أن يكون اعتقاد الوجوب والتحريم بأدلة الكتاب والسنة وبالعلم لا بالهوى، وإلا فكثير من الناس تنفر نفسه عن أشياء لعادة ونحوها، فيكون ذلك مما يقوي تحريمها واشتباهها عنده، ويكون بعضهم في أوهام وظنون كاذبة فتكون تلك الظنون مبناها على الورع الفاسد فيكون صاحبه ممن قال الله تعالى فيه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ ومن هذا الباب الورع الذي ذمه الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: لما ترخص في

أشياء فبلغه أن أقواما يتنزهون عنها . فقال: ما بال أقوام يتنزهون عن أشياء أترخص فيها؟ والله إني لأرجو أن أكون أعلمهم بالله وأخشاهم ، وفي رواية أخشاهم وأعلمهم بحدودهم له وكذلك حديث صاحب القُبلة ، ولهذا يحتاج المتدين المتورع إلى علم كثير بالكتاب والسنة والفقه في الدين ، وإلاَّ فقد يفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه ، كما فعله الكفار وأهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم" .

٥ – الورع لا يكون إلا بالإخلاص:

قد تأتي الإنسان اعتبارات تدفع إلى الورع ، فقد يكون له مقام واعتبار ويرى أنه مما ينبغي أن لا يليق بأمثاله أمام الناس ، فيكون دافعه إلى ذلك مُراءاة الناس ، وقد يكون دافعه حظ النفس أو هوى النفس ، أو غيرها من الأمور ؛ فالورع مثل سائر الأعمال الصالحة التي يتقرب فيها الإنسان إلى الله عز وجل لابد فيها من الإخلاص ، قال شيخ الإسلام: "واعلم أن الورع لا ينفع صاحبه ويكون ثواب إلا بفعل المأمور به من الإخلاص" .

٦ – التدقيق في مسائل الورع للخاصة وليس لآحاد الناس:

قال الحافظ ابن رجب: "وههنا أمرٌ ينبغي التفطن له وهو أن التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها وتشابهت أعماله في التقوى والورع ، فأما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبه فإنه لا يحتمل له ذلك ، بل ينكر عليه وهذا حال بعض المتكلفين المرائين يسلك هذا المسلك كما قال ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق: يسألونني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين وسمعت النبي ﷺ يقول: «**هما ريحانتاي في الدنيا**» .

ونقل بعض النقول عن بعض السلف هي أمثلة عن هذا النوع من ذلك ، ثم قال: وسأل بشر بن الحارث عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها ، فقال: إن كان بر أمه في كل شيء ولم يبق من برها إلا طلاق زوجته فيفعل ، وإن كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل ، وسُئِل الإمام أحمد رحمه الله عن رجل يشتري بقلاً ويشترط الخوصة – يعني التي يربط بها جزرة النقل – فقال أحمد: إيش هذه المسائل ، قيل له إنه:

إبـراهيم بـن أبي نعيم ، قال: إن كان إبراهيم بن أبي نعيم فنعم ، هذا يشبه ذلك ، وإنما أنكر أحمـد هـذه المسائل ممن لا يشبه حاله وأما أهل التدقيق في الورع فيشبه حالهم هذا ، وقد كان الإمـام أحمـد نفـسه يـستعمل في نفسه هذا الورع فإنه أمر من يشتري لـه سمنا فجاء به على ورقة فأمر برد الورقة إلى البائع ، وكان أحمد لا يستمد من محابر أصحابه وإنما يخرج منه محبرة يـستمد مـنها ، واستأذنه رجل أن يكتب من محبرته فقال: اكتب فهذا ورع مظلم ، واستأذنه آخـر في ذلـك فتبسم وقال: لم يبلغ ورعي ولا ورعك هذا ، وهذا قاله على وجه التواضع ، وإلاَّ فهـو كـان في نفسه يستعمل هذا الورع ، وكان ينكره على من لم يصل إلى هذا المقام بل يتسامح في المكروهات الظاهرة ويقدم على الشبهات من غير توقف" .

وهـذا الأمـر مهـم أن نعيه ونحن نقرأ ، ووردت بعض الروايات عن السلف في ورعهم حتـى لا نقـع في هـذا الغلـط الـذي لـه آثار سلبية على نفوسنا ؛ فنحن أحوج ما نكون إلى الورع الواجب ، وأحوج ما نكون إلى اجتناب المحرمات الظاهرة الواضحة ، وأحوج ما نكون إلى إصـلاح قلوبنا ، فإذا انشغلنا بهذه الدقائق تركت آثاراً على أنفسنا ، منها أن تشعر أنفسنا بالزهو واحتقار الآخرين وأن الناس لا يتورعون ، ومنها أن:

من فوائد الورع.....!!!

١- اتقاء عذاب الرحمن وتحقيق راحة البال للمؤمن وطمأنينة النفس وهذه مسألة مهمة جداً .

٢- يكفّ عن الحرام .

٣- يبعده عن إشغال الوقت فيما لا يفيد .

٤- يجلب محبة الله لأن الله يحب المتورّعين .

٥- يفـيد اسـتجابة الـدعاء ، لأن الإنـسان إذا طهّـر مطعمـه ومشربه وتورّع يرفع يديه فيجاب لـه الدعاء .

٦- مرضاة الرحمن وزيادة الحسنات .

٧- يتفاوت الناس في الدرجات في الجنة بتفاوتهم في الورع .

والمسلم إذا نقل قلبه من الدنيا فأسكنه في الآخرة وأقبل على القرآن الكريم انفتحت له الأبواب وكان فيمن يستطيع تحمّل هذا الورع ، وهناك حلال محضٌ بيّن وحرام محضٌ ومسائل مشتبهة بينهما ، فلبس القطن والكتان والصوف والزواج بعقد صحيح وأخذ المال من الميراث أو هبة من إنسان ماله حلال أو شراء شيء ببيع صحيح ، أمور الحلال المحض واضحة ، وأمور الحرام واضحة كالميتة والدم والخنزير والخمر ونكاح المحارم ولباس الحرير للرجال وأخذ الأموال المغصوبة والمسروقة والغش والرشوة ، أما المشتبهات التي ينبغي للمرء المسلم أن يتورّع عنها مثل: ما اختلف في حلّه وحرمته ، مثلاً البغل متولّد ما بين الحمير والخيل ، جلود السباع ولو كانت مدبوغة ، التورّق وهو أن تشتري شيء بالأقساط وتبيعه نقداً لتحصّل سيولة وبعض العلماء لم يجزه مع أن الراجح جوازه لكن المسألة مختلف فيها ، ونحو هذا . .

إذاً من أسباب الشبهة تنازع العلماء في شيء معين هل هو حلال أو حرام وكل طائفة لهم أدلتهم ، ماترك النبي ﷺ حلالاً إلا بيّنه ولا حراماً إلا بيّنه ولكن بعض الناس يخفى عليهم بعض الحلال أو بعض الحرام ويتفاوتون في هذا ومن أسباب اختلاف العلماء فيه أنه ينقل في الشيء نصان أحدهما بالتحليل وأحدهما بالتحريم وقد يكون أحدهما صحيح والآخر ضعيف وأحدها ناسخ والآخر منسوخ فيأخذ كل طائفة من العلماء بنص من النصين فيحدث الاختلاف ، أحياناً يكون الشيء فيه أمر فيقول بعضهم هذا للوجوب وبعضهم يقول هذا للاستحباب ، والورع هو أن تقوم بهذا الأمر . جاء نهي فقال بعض العلماء النهي للتحريم وقال بعضهم النهي للكراهة والورع أن تتركه .

والعلماء أنفسهم قد تشتبه عليهم أشياء فلا يفتون فيها أو يتوقفون عنها ، ومن أمثلة الأشياء المشتبهة ما لايُعلَم له أصل ملكٍ كما يجده الإنسان في بيته فلا يدري أهو له أم لغيره ، النبي ﷺ قال: «**إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها**» ، ولكن من جهة التحريم والحل ، فالأصل في المال الموجود في بيتك أنه لك ، فجانب الحل أقوى ، لكن إذا أردت الورع وتصدقت بهذا

المال أحسن . .

وكذلك فإن الشيء قد يجتمع فيه أحياناً سبب للحل وسبب للحرمة ، فيتركه الإنسان فالنبي ﷺ علّمنا عن أمور الأصل فيها الحظر كالأبضاع ولحوم الحيوان فلا تحل إلا بيقين ، ولو حصل تردد مثل اجتماع سبب حاضر ومبيح نبقى على الأصل فيها وهو التحريم فقال ﷺ في من أطلق سهماً على صيدٍ أو كلبه على صيدٍ فلما جاء ليمسك بالصيد وجد عنده كلباً آخر لا يدري الذي أمسك كلبه أو الكلب الآخر ، فإذا كان الكلب المعلَّم يجوز صيده ، ومعنى ذلك أن الصيد غير المعلَّم لا يجوز صيده ، فماذا يفعل إذا وجد مع الفريسة كلباً آخر لايدري كلبه الذي صاد أو الكلب الآخر ، وصل إلى الصيد الذي صاده وقع في الماء فلايدري هل قتل بالسهم أو قتل بالغرق ، الأصل يجوز الأكل مادام السهم أو البندقية خرقت وخزقت وسمّى الله على البندقية وأطلق ولكن وقوع الطائر في الماء يجعله في ريبة هل موت الطائر بفعل الرمية التي رماها أم الغرق فيتركه .

لو جاء رجل لأرض أو سجادة وقال لنفسه هذا رجل لديه أبناء قد يكونون بالوا عليها ، فأنا لن أصلي عليها ، تورّع عن الصلاة عليها فما حكم هذا التورّع ، هل هو شرعي أم لا؟ ، هذا تورع غير شرعي لأنه خالف الأصل بدون أي قرينة ، والأصل في الأشياء الطهارة ، فيكون هذا ورعاً فاسداً .

فسّر الإمام أحمد رحمه الله الشبهة بأنها منزلة بين الحلال والحرام - يعني الحلال المحض والحرام المحض - وقال من اتقاها فقد استبرأ لدينه ، وفسرها تارة باختلاط الحلال والحرام .

ومن ضمن الأمثلة أيضاً معاملة من ماله مختلط ، رجل يرابي ويبيع ويشتري ، عنده حلال وحرام ، فقال العلماء إذا كان أكثر ماله الحرام قال الإمام أحمد: ينبغي أن يجتنبه إلا أن يكون يسيراً أو لا يُعرَف ، والحرام غير معيّن وليس معروفاً ، فيجوز الأكل والورع تركه . وقال الزهري: لا بأس أن يُؤكل منه مالم يعرف أنه حرام بعينه . وقال سفيان: تركه أعجبُ إليّ . وقال الإمام أحمد في المال المشتبه حلاله بحرامه: إن كان المال كثيراً أخرج منه قدر الحرام وتصرّف في الباقي ، وإن كان المال قليلاً اجتنبه كله ، وهذا لأن القليل إذا تناول منه شيئاً فإنه

تبعد معه السلامة من الحرام . ورخّص قومٌ من السلف في الأكل ممن يُعلَم في ماله حرام ولكن لا يُعلَم على التعيين ماهو الحرام ، وهذه هي الخلاصة: يجوز معاملة من ماله مختلط إذا ما علمنا الحرام أين بالضبط والورع ألا يأخذ منه .

وكذلك فإن الاستبراء للدين مهم جداً في حياة الدين المسلم ، والإنسان قد لا يشبع من الشبهة وقال الثوري رحمه الله في الرجل يجد في بيته الأفلس والدراهم: أحب إليّ أن يتنزّه عنها إذا لم يدري من أين هي .

ومن تمام التقوى أن يتقِ الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وقال الحسن: مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام ، وقال الثوري: إنما سمّوا المتقين لأنهم اتقوا مالا يُتّقى . وقال ابن عمر: إني لأحب أن أدع بيني وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرقها . وقال سفيان بن عيينة: لا يصيب عبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال وحتى يدع الإثم وما تشابه منه .

وكذلك فإن النبي ﷺ قد قال: «**الإثم ماحاك في الصدر وكرهت أن يطّلع عليه الناس**» ، إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجاً وضيقاً وقلقاً واضطراباً فلم ينشرح له الصدر ومع هذا فإنه عند الناس مستنكر بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه .

لكن الإنسان قد يقلق من أشياء لجهله فلينتبه من هذا وليسأل أهل العلم ، وهنا تظهر أهمية الاستفتاء وسؤال أهل الذكر الثقات .

الصحابة تحرجوا من أن يأكلوا من اللحم الذي صاده أبو قتادة فالنبي ﷺ أكل ، وفرّق العلماء بين ما صيد لأجله (لأجل المحرم) وما صاده الحلال لا لأجل المحرم فيجوز للمحرِم أن يأكل منه . لكن لو أن الشخص الحلال غير المحرم صاد لك أنت أيها المحرِم فلا تأكل . والمقصود أن سؤال أهل العلم الثقات مما يريح الإنسان فينبغي أن لا ينسى هذا وأن يكون على ذكر منه . دع ما يريبك إلى ما لا يريبك . إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت .

الإثم حوازّ القلوب تحز في القلوب والنفوس . وكذلك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة وكان بعض العلماء يعرفون الحديث الضعيف بأمور بقلوبهم وهذا ليس إلا للعلماء

النقاد الكبار وأما طلبة العلم العاديين فلا يمكن أن يعرف ذلك بقلبه إلا فيما ندر .

وطلب الحلال فرض على كل مسلم ، وقد ادعى بعض الجهّال أن الحلال في الأرض انتهى ، وبعضهم قال باقي الحشيش والكلأ في البر والأراضي التي ليس لها أحد ونهر الفرات ؛ وهذا تضييق على عباد الله ومن الجهل وقلة العلم فإن النبي ﷺ قال هذه القاعدة المهمة جداً: «**الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات**» ، والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض ، والحرام كله خبيث ولكن بعضه أخبث من بعض ، والإنسان المسلم قد يكون عنده الحلال معلوماً من قبل ثم يقع في شك فلا يلتفت لهذه الوسوسة إذا لم يكن لها دليل ولا قرينة وكذلك قد يكون يعرف الحرام من قبل فيأتي في نفسه وسوسة أن هذا ليس حراماً بدون علم ولا خبر ثقة أفتاه به أهل العلم فلا يلتفت إليه ، وقد يعرف الإنسان الحل ويشك في المحرم فيكون الأصل الحل كما تقدم وهناك مثال يضربه بعض الفقهاء ويدل على قلة عقل من وقع فيه قال: اثنان وقفا فجاء طائر فاختلفا هل هذا غراب أم لا؟

فقال أحدهم عليه الطلاق أنه غراب ، وقال الآخر عليه الطلاق أنه ليس بغراب ، فلما أرادا أن يأتيا للتحقق طار الطائر ولم يدركاه ، فصارت مشكلة فزوجة مَن طالق . .!

فبعض الناس يفعل أشياء من قلة العقل ، وفي هذه الحالة يقول العلماء: الأصل بقاء النكاح وحل المرأة للرجل ، احتمال الطلاق وارد ومشكوك فيه . ولذلك فإن على الإنسان أن لا يورد نفسه في الموارد التي يتسبب بها في الحرج في نفسه وأن يقع في تعذيب النفس والشك ، وقد يدخل الشك على بعض الناس في قضايا لا يشرع لهم أبداً السؤال فيها ، فهل يجوز لإنسان دخل على بيت مسلم مستور مايعرف عنه أي ريبة ، وُضِع له الطعام ، أن يقول له: المال الذي اشتريت به هذا العشاء من أين أتيت به . هل هذا من الورع . .؟!

وفي ذلك إيذاء للمسلم لأن سؤالك هذا اتهام له . .! واتهام المسلم ووضعه في موضع الشك بدون قرينة ولا دليل ولا بينة لا يجوز وسوء ظن ، وإيذاء المسلم للمسلم حرام .

أحياناً تأتي أشياء تستدعي التورع مثلاً إذا دخل حلال قليل في حرام كثير فعند ذلك تكون هذه القضية مما يدفع الإنسان إلى الورع فعلاً . كذلك إذا كانت القضية في الأبضاع

واللحوم كما تقدم . مثلاً هناك امرأة ثقة وجئتَ لتخطب فتاة فقالت أنا أرضعتها أو أرضعت أختها ، أنا متأكدة أني أرضعت إحدى الأختين ، لا أدري أيتهما ، فالورع أن تترك الزواج من كلتيهما . مثلاً اثنان ذبحا ذبيحتين ، إحداها ذبحها هندوسي والأخرى ذبحها مسلم ، جئت لتشتري وأنت تعلم ذلك ولكن لا تدري أيتهما التي ذبحها هذا وأيتهما التي ذبحها الآخر فلا تشتري .

مسألة اللحوم والأبضاع شديدة في الشرع ولذلك يحتاط فيها في أشياء أكثر من غيرها ، ولكن بشرط أن لا يصل إلى الوسوسة أيضاً ، فلو أن هذه ذبيحة مسلم لا يجوز لك أن تشك فيها . إذاً هناك وسوسة في هذه القضايا لا يجوز الالتفات إليها ، وورع الموسوسين مثاله ؛ قال ابن حجر في فتح الباري: "ورع الموسوسين كمن يمتنع من أكل الصيد خشية أن يكون الصيد كان لإنسان ثم أفلت منه ، وكمن يترك شراء ما يحتاج إليه من مجهول لا يدري أماله حلال أم حرام ، وليست هناك علامة تدل على الثاني " .

هناك مسائل من الورع الدقيق لا تليق بكل الأشخاص.

قال ابن رجب رحمه الله: " وهاهنا أمر ينبغي التفطّن له وهو أن التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها وتشابهت أعماله في التقوى والورع - فهذا لو دقق يقبل منه التدقيق - ، أما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة ثم يريد أن يتورّع عن شيء من دقائق الشبه فإنه لا يحتمل له ذلك بل ينكر عليه" كما قال ابن عمر لأهل العراق لما جاءوا يسألونه عن دم البعوض وفيهم ممن قتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، قالوا المحرم إذا قتل بعوضة يجوز أم عليه فدية ، فقال: "يسألوني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين وقد قال ﷺ هما ريحانتاي من الجنة؟!! " .

وسُئِل الإمام أحمد عن رجل يشتري بقلاً ويشترط الخوصة ، فقال الإمام أحمد: ماهذه المسائل؟ قالوا: إنه إبراهيم بن أبي نعيم . فقال: إن كان إبراهيم بن أبي نعيم فنعم هذا يشبه ذاك (هو من كبار الزهاد العابدين) . ولذلك لما جاء رجل إلى الإمام

أحمد يقول إن أمه تأمره بطلاق زوجته ، قال: إن كان برّ أمه في كل شيء ولم يبق من برها إلا طلاق زوجته فليفعل . .!

الخلاصة:

أن الورع منه دقائق لا تليق بأي أحد ، بل ينكر على من تورع فيها إذا كان من أولئك الفسقة أو المتساهلين ، وعلى أية حال فإن الورع هو من العبادات العظيمة وملاك الدين الورع ، والفقية الورع الزاهد المقيم على سنة النبي ﷺ له أجره العظيم يوم الدين ، والإنسان ينبغي أن يضع نفسه في الموضع الصحيح في مسألة الورع كما قال الأوزاعي: (كنا نمزح ونضحك فلما صرنا يُقتدى بنا خشيت أن لا يسعنا التبسُّم) .

وهذا الورع يُتَعَلَّم ، كما قال الضحّاك بن عثمان رحمه الله: (أدركت الناس وهم يتعلمون الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام) ، والإنسان إذا تورّع لن يعدم الحلال ولا يظن أنه سيضيق على نفسه ضيقاً لا مخرج منه فإنه يلتمس الورع الشرعي مثلما تقدم .

* * * * *

obeikandl.com

المبحث السادس:

الإخبات

الخبت في اللغة: هو الأرض المنبسطة، والإخبات: أخبت إذا طأطأ حتى يساوى بالأرض، ففى هذا دليل على كمال الانقياد والإذعان: ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾[1] فالإخبات هو عدم الاعتراض، فلو ارتفعت لكان فيها نوع من الاستكبار.

ولهذا يقولون في قلوب الكفار: إنها قلوب متكبرة جبارة، وكثيراً ما يصفهم الله بوصف الاستكبار؛ لأنهم يستكبرون عن عبادة الله وطاعته والانقياد لأمره، فالاستكبار ضد الإخبات.

والإخبات في الشرع هو: الخضوع الكامل والمطلق، فكأنه التصق بالأرض، فليس لديه أي اعتراض على ما يأتى من عند الله تبارك وتعالى، فهو كما قال الله عز وجل: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2].

والتسليم هو: حالة الإحسان التى ذكرها النبى ﷺ في حديث جبريل العظيم المشهور، وهو: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» لأنه كما قال ابن القيم رحمه الله تحكيم رسول الله ﷺ في مقام الإسلام.

فمن لم يحكم رسول الله على قلبه ونفسه، ويجعل هواه تبعاً لما جاء به في أصل التحكيم؛ فإنه ليس بمؤمن ولا بمسلم، إذ التحكيم في مقام الإسلام هو كما قال: ﴿ ﴾[3]، وانتفاء الحرج يكون في مقام الإيمان، فالإيمان درجة أعلى من درجة الإسلام، فالدرجة هذه أنه حكم وانتفى الحرج من قلبه فلا حرج فيما يحكم به رسول الله ﷺ.

---

(١) الحج: ٥٤.
(٢) النساء: ٦٥.
(٣) النساء: ٦٥.

والمقصود هو: ما جاء به عامة ، أي: ما جاءنا من حكمه ﷺ ، وهديه وسنته الظاهر منها والباطن ، فنجعل كأنّ رسول الله ﷺ ، بنفسه قائم بين أظهرنا ، يقول: اعملوا كذا ولا تعملوا كذا .

فرسول الله ﷺ غاب بجسده ، وأما دينه وسنته وهديه فهي بين أيدينا وحجته قائمة علينا ، فلا بد من انتفاء الحرج هذا في مقام الإيمان .

وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ .

كثير ما نقرأ آيات لكن هل وقفنا مع آياته؟

لكني الآن سأقف معكم عند قوله تعالى: (وبشر المخبتين) .

ما معنى المخبتين؟

قال ابن القيم: " من منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الإخبات "

والإخبات في اللغة: المكان المنخفض من الأرض .

والمراد بالمخبتين في الآية اختلف المفسرين فيه:

قال ابن عباس وقتادة: هم المتواضعون .

قال النخعي: المخلصون .

قال الأخفش: الخاشعون .

قال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم .

قال عمرو بن أوس: (الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا) .

ورد لفظ (الإخبات) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع هي ؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1]

---

(١) هود: ٢٣ .

وقوله سبحانه: ﴿ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾[١] وقوله عز من قائل: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾[٢] وكان من دعائه ﷺ: «**رب اجعلني لك شكَّارًا، لك ذكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مِطواعًا، إليك مخبتًا، لك أوَّاهًا منيبًا**»[٣]، وأيضًا قوله ﷺ: «**اللهم إنَّا نسألك قلوبًا أوَّاهة مخبتة منيبة في سبيلك**»[٤].

وأصل (الإخبات) في اللغة من الخَبْت، وهو المكان المنخفض والمطمئن من الأرض، ضد المُصعد والمرتفع؛ ثم استعير لمعنى التواضع، كأن المخبت سلك نفسه في الانخفاض، فأصبحت سهلة سمحة مطواعة؛ ويقال: فيه خِبْتة، أي: تواضع ودماثة.

وبناء على هذا الأصل اللغوي تفرع القول في معنى (الإخبات) فقالوا في معناه: هو الخشوع، والخضوع، والتواضع؛ يقال: أخبت لله، خشع؛ وأخبت، تواضع؛ وأخبت إلى ربه، أي: اطمأن إليه؛ وقد رُوي عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ قال: هم المطمئنون، وقيل: هم المتواضعون؛ والمراد بهم المؤمنون؛ لأن التواضع من شيمهم، كما أن التكبر من سمات المشركين، قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[٥].

وقال المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾ أي: أطاعوا ربهم أحسن طاعة، وتواضعوا لأمره بامتثاله؛ وأيضًا فُسِّر قوله تعالى: ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ بأنه التواضع، أي: فيستقر الحق في قلوبهم فيخضعوا له، ويستسلموا لحكمه، كما قال تعالى في حق إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[٦].

وكما ترى، فإن مصطلح (الإخبات) يفيد معنى الخشوع، والخضوع، والتواضع، كما

---

(١) الحج: ٣٤.
(٢) الحج: ٥٤.
(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن إلا النسائي.
(٤) رواه الحاكم.
(٥) غافر: ٣٥.
(٦) البقرة: ٢٦٠.

يفيد معنى الهبوط، والنزول؛ وهو على ارتباط وثيق بهذه المعاني كلها، فيشترك معها في كثير من الدلالات اللغوية، وإن كنا لا نعدم فرقًا طفيفيًا بين كل واحدٍ منها، كما تفيد بذلك كتب الفروق اللغوية.

ولك أن تلاحظ - أخي القارئ الكريم - أن الآيات والأحاديث السابقة، والتي ذُكر فيها لفظ (الإخبات) أن هذا اللفظ قد جاء فيها مضافًا إلى الله سبحانه وتعالى، ولم يأتِ في القرآن الكريم ذِكْرٌ لهذا اللفظ مضافًا لغير الله تعالى؛ بينما جاء لفظ (التراحم) و(الذل) وصفًا مضافًا للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[1] وقال جل علاه: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2] ويمكن أن يُستفاد من هذا المَلْحَظ، أن مصطلح (الإخبات) ليس تواضعًا فحسب، وإنما هو تواضع مع انقياد؛ فـ (الإخبات) لله هو التواضع له سبحانه، وذلك يكون بفعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، وتعظيم شرعه، والذل والخضوع بين يديه، وتحكيم شرعه في مناحي الحياة كافة، مع القبول والتسليم بكل ما شرع.

وإذ تبين هذا، أمكن لنا أن نقول: إن التواضع المجرد، وإن كان فيه لين جانب وسهولة طبع، يفارق معنى (الإخبات) من جهة أن التواضع المجرد، تواضع غير مقرون بالانقياد، أما (الإخبات) فهو تواضع مقرون بالانقياد، وهو الذي امتدح الله به عباده المؤمنين.

نسأل الله أن ينفعنا بالقرآن العظيم، وأن يجعله حجة لنا لا حجة علينا، وأن يجعلنا من الذين يجمعون بين القول والعمل في سلوكهم، ومن الذين وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾.

ورد لفظ (الإخبات): في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع هي؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[3].

---

(١) الفتح: ٢٩.
(٢) المائدة: ٥٤.
(٣) هود: ٢٣.

وقوله سبحانه: ﴿ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾[١].

وقوله عز من قائل: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾[٢] وكان من دعائه ﷺ : «**رب اجعلني لك شكَّارًا، لك ذكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مِطواعًا، إليك مخبتًا، لك أوَّاهًا منيبًا**»[٣].

وأيضًا قوله ﷺ : «**اللهم إنَّا نسألك قلوبًا أوَّاهة مخبتة منيبة في سبيلك**»[٤].

وأصل (الإخبات) في اللغة من الخَبْت، وهو المكان المنخفض والمطمئن من الأرض، ضد المُصعد والمرتفع؛ ثم استعير لمعنى التواضع، كأن المخبت سلك نفسه في الانخفاض، فأصبحت سهلة سمحة مطواعة؛ ويقال: فيه خِبْتة، أي: تواضع ودماثة.

وبناء على هذا الأصل اللغوي تفرع القول في معنى (الإخبات) فقالوا في معناه: هو الخشوع، والخضوع، والتواضع؛ يقال: أخبت لله، خشع؛ وأخبت، تواضع؛ وأخبت إلى ربه، أي: اطمأن إليه؛ وقد رُوي عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ قال: هم المطمئنون، وقيل: هم المتواضعون؛ والمراد بهم المؤمنون؛ لأن التواضع من شيمهم، كما أن التكبر من سمات المشركين، قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[٥].

وقال المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾ أي: أطاعوا ربهم أحسن طاعة، وتواضعوا لأمره بامتثاله؛ وأيضًا فُسِّر قوله تعالى: ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ بأنه التواضع، أي: فيستقر الحق في قلوبهم فيخضعوا له، ويستسلموا لحكمه، كما قال تعالى في حق إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[٦].

---

(١) الحج: ٣٤.
(٢) الحج: ٥٤.
(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن إلا النسائي.
(٤) رواه الحاكم.
(٥) غافر: ٣٥.
(٦) البقرة: ٢٦٠.

وكما ترى، فإن مصطلح (الإخبات) يفيد معنى الخشوع، والخضوع، والتواضع، كما يفيد معنى الهبوط، والنزول؛ وهو على ارتباط وثيق بهذه المعاني كلها، فيشترك معها في كثيرٍ من الدلالات اللغوية، وإن كنا لا نعدم فرقًا طفيفيًا بين كل واحدٍ منها، كما تفيد بذلك كتب الفروق اللغوية.

فالآيات والأحاديث السابقة، والتي ذُكر فيها لفظ (الإخبات) أن هذا اللفظ قد جاء فيها مضافًا إلى الله سبحانه وتعالى، ولم يأتِ في القرآن الكريم ذِكْرٌ لهذا اللفظ مضافًا لغير الله تعالى؛ بينما جاء لفظ (التراحم) و(الذل) وصفًا مضافًا للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[1] وقال جل علاه: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾[2] ويمكن أن يُستفاد من هذا المَلْحَظ، أن مصطلح (الإخبات) ليس تواضعًا فحسب، وإنما هو تواضع مع انقياد، والإخبات لله هو التواضع له سبحانه، وذلك يكون بفعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، وتعظيم شرعه، والذل والخضوع بين يديه، وتحكيم شرعه في مناحي الحياة كافة، مع القبول والتسليم بكل ما شرع.

وإذ تبين هذا، أمكن لنا أن نقول: إن التواضع المجرد، وإن كان فيه لين جانب وسهولة طبع، يفارق معنى (الإخبات) من جهة أن التواضع المجرد، تواضع غير مقرون بالانقياد، أما (الإخبات) فهو تواضع مقرون بالانقياد، وهو الذي امتدح الله به عباده المؤمنين.

نسأل الله أن ينفعنا بالقرآن العظيم، وأن يجعله حجة لنا لا حجة علينا، وأن يجعلنا من الذين يجمعون بين القول والعمل في سلوكهم، ومن الذين وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾.

ثمرات الإخبات:

يتخلص من التردد ويجعل الإنسان سائر إلى ربه فهو كالماء الذي يروي الإنسان عند الظمأ فيجعله يجد في سيره.

---

(١) الفتح: ٢٩.
(٢) المائدة: ٥٤.

* يحمى من اتباع شهواته والميل للكسل والراحة .

* لا يلتفت عند سيره بقلة السالكين طريقه بل يشعر بالأنس بالله .

* إذا تمكن الإخبات من قلبه أمن من الواردات التي قد ترد على قلبه لتفتنه .

* ترتفع همته فلا يلتفت لمدح المادحين أو ذمهم .

* بالإخبات تدوم لائمته لنفسه على ما كان مذموم من أخلاقه .

والثمرات كثيرة ذكرها ابن القيم في كتابه مدارج السالكين .

فما أجمل الإخبات لرب العالمين .

وما أجمل بالمسلم أن يكون متصفاً بالإخلاص ، والخشية ، ورقة القلب ، والبعد عن الظلم .

ولكي نكون من المخبتين علينا السير بما ساروا عليه فقد ذكر الله أوصافهم في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1]

من فوائد الإخبات:

١ - أول درجات الطمأنينة والثقة بالله وحسن الظن به .

٢ - للمخبت البُشرى من الله بالجنة .

٣ - الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة .

٤ - الإخبات يورث صاحبه العزة في الدنيا والنجاة في الآخرة .

٥ - الإخبات يقي من الفتنة .

٦ - بالإخبات ترفع الهمة وتعلو النفس عن الرغبة في المدح أو الخشية من الذم .

٧ - بالإخبات يباشر القلب حلاوة الإيمان واليقين .

* * * * *

(١) الحج ، آية ٣٥ .

المبحث السابع:

الإنابة

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[1] والإنابة معناها قريب من معنى الإخبات، وأناب في اللغة معناه: عاد ورجع، فالإنابة: أن يعود الإنسان ويرجع إلى الله رجوعاً كلياً متجرداً خالصاً لله تبارك وتعالى، فيرجع عن كل ما لديه من أهواء، وشهوات، ودوافع، ونوازع ويجعل همه هو رضا الله تبارك وتعالى.

هل سبق لك إن حاسبت نفسك يوما على سلوك يغضب الله؟؟

هل حاولت يوما أن تحصي سيئاتك؟؟

هل تذكرت يوما ذنوبك؟؟ فحاولت أن تكفر عنها..؟؟ وكيف؟؟

هل ستصبر على حالك هكذا.. وأنت مثقل بالذنوب وهم الذنوب؟؟

وهل تظن أن الله تعالى غفر لك؟؟

قال الله تعالى ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، فإن أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية".

.. فموضوع المحاسبه طويل ومتشعب..

لكن خطرت لي فكرة لمراقبة نفسي ومحاسبتها.. وكانت رائعه..

فأحببت أن أعرضها عليكم.. فقد تنال رضاكم.. وتجدون فيها الرضى عن النفس وتذكيرها بواجباتها كما ذكرتها بتجاوزاتها..

---

(١) الزمر: ٥٤.

الفكرة بسيطه جدا وهي عباره عن جدول أسبوعي متجدد أو شهري . .

مقسم إلى خانات عموديه وأفقيه .

أول خانه عمودية أيام الشهر .

والتاليه . . مثلا . . سنة الفجر . . وتليها صلاة الفجر وبعدها أذكار الصباح .

إمكانكم إضافة ماشئتم .

فأنا وضعت الصلوات . . لأحاسب نفسي عن تأخيرها .

الأذكار الصباحية والمسائية لأنني كثيرا ما أنساها .

نأتي لآخر عمود . . وهو الجزاء .

أي أضع لنفسي الجزاء المناسب . . مثلا ركعتين كما في حديث الرسول ﷺ : «**مامن عبد يذنب ذنبا فيصلي ركعتين يسأل الله فيهما أن يغفر ذنبه إلا وغفر لـــه**» .

أو الخيار الثاني وهو الصدقه . . وتعلمون . . فضل الصدقه . . والأحاديث التي ذكرت فضلها كثيرة .

أيضا . . لكم الحريه في وضع الجزاء المناسب .

المهم أحبتي أن لا تترك النفس تتمادى في المعاصي وننسيها أن هناك يوما تحاسب فيه أمام خالقها . . وأي حساب؟؟

يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ**﴾ .

* * * * *

المبحث الثامن:

الخشوع

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾[1] . والخشوع هذا بمعنى الخشية أو قريب منه .

فأعمال القلب تتقارب ؛ لأنها أعمال باطنة ، فنجد - مثلاً - الوجل ، والخوف ، والخشية ، والخشوع ؛ متقاربة المعنى ، ولكل واحد منها معنى ، لكنها متقاربة في ذلك وكلها تدل في النهاية على كون هذا القلب خاضعاً وذليلاً للعزيز الجبار المتكبر الذي خلقه فسواه وعدله ، وافترض عليه ما افترض ، وشرع له ما شرع ، وتعبده بما تعبد .

فإذاً الوجل والخوف والخشية والخشوع هي جملة من أعمال القلب لها دلائل ، ويقابلها الرجاء والمحبة والرضا والفرح ، فتتوازن النفس الإنسانية بين هذه الأربعة وتلك الأربعة ، فيكون الإنسان حقاً قد جمع كل أعمال القلوب وأنواعاً من العبوديات التي يحبها الله تبارك وتعالى والتي لا يريد أن يقع أو يحصل بعضها ويترك ويهمل البعض الآخر .

فكر وتأمل:

كانت بدايته في الفجوروالعصيان ، يقول هو عن نفسه : ما تركت ذنبا إلا فعلته . . وبقيت على ذلك عمرا أؤذي الناس وآخذ أموالهم حتى جاء يوم رأيت رجلا في السوق يشتري حلوى ويقول للبائع: اعطني وزدني فإن لي ثلاث بنات ، وإن الرسول ﷺ بشر من يدخل البسمة على وجه بنات صغار بالجنة .

يقول فوقع في قلبي حب البنات فتمنيت أن أتزوج ، وأنجب بنتا .

يقول: فاشتفت للزواج ولكن تساءلت: من يزوجني وأنا على فجوري هذا؟؟

---

(١) الحديد: ١٦ .

فقللت في فسقي بعض الشيء . . وتزوجت وأنجبت بنتا كما طلبت من الله وأسميتها "فاطمة" . .

أحببتها بشدة وكلما كبرت كلما قوي إيماني وضعف الفسق والفجور حتى أصبحت بنت ثلاث سنوات ورغم أنني كنت سكيرا ، إلا أنني قللت من الشرب كثيرا . .

إلى يوم كنت أشرب فيه فأزاحت بيديها الكأس عن فمي .

فشعرت أن يد الله هي التي أزاحته .

حتى حدث أمر عجيب . .

فجأة . .

ماتت فاطمة . .

يقول: فرجعت أسوأ مما كنت من قبل . .

لا أكاد استيقظ من الخمر . .

ولم يكن لدي من الإيمان ما أصبر به . .

حتى جاءت ليلة ، فقلت: لأسكرن الليلة كما لم أسكر من قبل . . فبقيت أشرب وأشرب حتى سقطت مغشيا علي فرأيت في المنام رؤية عجيبة . .

رأيت وكأنني يوم القيامة والهول عظيم . . والبشرية كلها محشورة إلى الله تعالى وقد دنت الشمس من الرؤوس .

فمنهم من يصل العرق إلى كعبيه . . ومنهم من يصل إلى ركبتيه . . ومنهم من يصل إلى رقبته . . ومنهم من يسبح في عرقه . .

ثم بدأ النداء على أسماء البشر . . فلان بن فلان . . هلم للعرض على الجبار .

حتى سمعت اسمي ينادى للعرض على الجبار . . فاختفى البشر من حولي ووجدت

نفسي لوحدي في موقف العرض والحساب . .

وإذا بثعبان ضخم يأتي فاتحا فاه ليبتلعني .

فركضت . . وركضت حتى وجدت رجلا عجوزا فقلت أنقذني من هذا الثعبان .

فقال يا بني: أنا ضعيف ولا أستطيع إنقاذك ولكن اركض في هذا الاتجاه لعلك تنجو .

فركضت كثيرا حتى وجدت النار أمامي والثعبان خلفي .

فبقيت أبكي حتى رأيت الرجل العجوز يبكي من حالي .

فأشار لى في الاتجاه الآخر . . فكان جبل . . وعلى الجبل أطفال صغار . . هم من ماتوا وتركوا آباءهم وأمهاتهم في الدنيا .

فنادوا على ابنتي فاطمه .

يا فاطمه أدركي أباك .

فجاءت فاطمه .

فعرفتها وعرفتنى وأخذتنى بيدها اليمنى . . ودفعت الأفعى بيدها اليسرى . . وجلست في حجري كما كانت تفعل في الدنيا وأنا ارتعد . .

فقلت: يا بنيتي ما هذا الثعبان العظيم؟

فقالت: هذا عملك السيئ .

فقلت: وما هذا الشيخ الكبير؟

قالت: هذا عملك الصالح . . أنت أضعفته حتى لم يستطع أن ينقذك ، ولولا موتى لما وجدت من ينقذك في هذا اليوم .

ثم نادتني . . يا أبت

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الحديد: ١٦) .

فاستيقظت وأنا أقول . . . قد آن يا رب . . . قد آن يا رب . . . قد آن يا رب .

فقمت واغتسلت وركضت إلى المسجد فإذا أذان الفجر . . فدخلت المسجد والإمام يقرأ نفس الآية .

يقول . . ففهمت رسالة ربي .

وعلمت أنني إن لم أعد إليه الآن . . فقد لا يقبلني بعد اليوم .

هذه هي قصة توبة أحد كبار التابعين . . مالك بن دينار .

كانت تلك هي الرسالة الربانية لصلاح حال هذا التابعي الجليل .

* * * * *

obeikandl.com

المبحث التاسع:

التسليم

يقول: ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[1] وهذا التسليم هو الذي لا يخطر على البال معه أدنى اعتراض كما كان الصديق رضي الله عنه .

ففي صلح الحديبية كان الصديق رضى الله عنه هو الوحيد من بين الصحابة جميعاً الذي سلم في هذا ولم يعترض ، أما ثاني رجل في هذه الأمة في الإيمان والدين ، وهو عمر رضى الله عنه فقد أبى واعترض ، وقال: يا رسول الله! ألسنا بالمؤمنين ، وأليسوا بالكافرين ، قال: «**بلى**» ، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟!

فكأن الشروط مجحفة وما سلم تسليماً ، لكن ليس في ذلك رد لأمر رسول الله ﷺ ، أو تقديم بين يدي الله ورسوله ، وإنما ذلك غيرة منه على دين الله ، وحرصاً منه على علو الدين وظهوره وتمكينه وانتصاره على أعدائه ، فيرى أن هذه الشروط مجحفة للمسلمين - كما هو ظاهر الحال - فما سلم تسليماً بحيث لا يكون لديه أي ممانعة أو مدافعة أو منازعة ، وإذا علمنا ذلك علمنا أهمية أعمال القلوب ، وأن التزكية تحتاج إلى صبر ومصابرة ومثابرة ومجاهدة ومحاضن تربوية ، وعمل ذاتي من المربى أو المزكى بنفسه ومن المجتمع أو الأمة ، حتى تصلح هذه القلوب وتصلح هذه الحالة (حالة الإحسان) .

ولهذا يقول عمر رضى الله عنه: "فأعتقت وتصدقت لذلك " ، أي: أعتق وتصدق من أجل موقفه في ذلك اليوم ، لأنه أنزله عن دائرة التسليم المطلق الذي فعله الصديق رضى الله عنه ، وكان الصحابة مع عمر لكن لم يستطيعوا وليس فيهم جرأة عمر رضى الله عنه ، فلما رأوا رسول الله ﷺ يحلق ويتحلل ؛ عندها أذعنوا عملياً لمشورة أم المؤمنين رضى الله عنها .

والمقصود هنا أنه ينبغي للمسلم أن يقدر قدر كلام الله ورسوله ؛ بل ليس لأحد أن

---

(١) النساء: ٦٥ .

يحمل كلام أحد من الناس إلا على ما عرف أنه أراده لا على ما يحتمله ذلك اللفظ في كلام كل أحد فإن كثيرا من الناس يتأول النصوص المخالفة لقوله ؛ يسلك مسلك من يجعل " التأويل " كأنه ذكر ما يحتمله اللفظ وقصده به دفع ذلك المحتج عليه بذلك النص وهذا خطأ ؛ بل جميع ما قاله الله ورسوله يجب الإيمان به . فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، وليس الاعتناء بمراده في أحد النصين دون الآخر بأولى من العكس ، فإذا كان النص الذي وافقه يعتقد أنه اتبع فيه مراد الرسول ؛ فكذلك النص الآخر الذي تأوله فيكون أصل مقصوده معرفة ما أراده الرسول بكلامه ؛ وهذا هو المقصود بكل ما يجوز من تفسير وتأويل عند من يكون اصطلاحه تغاير معناهما . وأما من يجعلهما بمعنى واحد كما هو الغالب على اصطلاح المفسرين ؛ فالتأويل عندهم هو التفسير .

وأما " التأويل " في كلام الله ورسوله ؛ فله معنى ثالث غير معناه في اصطلاح المفسرين . وغير معناه في اصطلاح متأخري الفقهاء والأصوليين ؛ كما بسط في موضعه . والمقصود هنا أن كل ما نفاه الله ورسوله من مسمى أسماء الأمور الواجبة كاسم الإيمان والإسلام والدين والصلاة والصيام والطهارة والحج وغير ذلك ؛ فإنما يكون لترك واجب من ذلك المسمى ومن هذا قوله تعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[1] فلما نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل على أن هذه الغاية فرض على الناس ؛ فمن تركها كان من أهل الوعيد لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب ، فإن الله إنما وعد بذلك من فعل ما أمر به وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها ؛ فهو معرض للوعيد .

ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول " في كل ما شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم في أصول دينهم وفروعه وعليهم كلهم إذا حكم بشيء ألا يجدوا في أنفسهم حرجا مما حكم ويسلموا تسليما .

---

(١) النساء: ٦٥ .

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ﴾[٢].

وقوله قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾[٣] والحكمة وهي السنة وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[٤].

والدعاء إلى ما أنزل يستلزم الدعاء إلى الرسول، والدعاء إلى الرسول يستلزم الدعاء إلى ما أنزله الله، وهذا مثل طاعة الله والرسول؛ فإنهما متلازمان فمن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن أطاع الله فقد أطاع الرسول. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥] فإنهما متلازمان؛ فكل من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى. فإن كان يظن أنه متبع سبيل المؤمنين وهو مخطئ؛ فهو بمنزلة من ظن أنه متبع للرسول وهو مخطئ.

* * * * *

(١) النساء: ٦٠.
(٢) النساء: ٦١.
(٣) البقرة: ٢٣١.
(٤) النساء: ١١٣.
(٥) النساء: ١١٥.

المبحث العاشر:

علاج الحزن والاكتئاب من واقع القرآن والسنة

إن في القرآن والسنة الوقاية والعلاج لحالات الحزن والاكتئاب، وخاصة ما كان منها لأسباب خارجية، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده؛ إذ أنه - سبحانه - جعل القرآن شفاءً ورحمة للمؤمنين، وما عليهم سوى العودة إليه وإلى سنة المصطفى ليفوزوا بالسعادة والراحة في الدارين.

أولاً: العقيدة:

إن للعقيد أثرا كبيراً في الوقاية وعلاج الاكتئاب والعقيدة نسمع عنها كثيرًا، ولكن كثير من الناس لا يعلمون مدلول هذه الكلمة، وما مقتضاها، وما نتائجها.

والعقيدة لها أثر كبير على مشاعر الإنسان وسلوكه.

وسنستعرض بعض جوانبها، وأثر هذه الجوانب في الوقاية من الاكتئاب وعلاجه

أ - في القضاء والقدر

عقيدتنا نحن المسلمين في القضاء والقدر تمنعنا من الحزن الشديد؛ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال النبي ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»[1].

فعندما يعلم الإنسان أن الأمور مفروغ منها ومكتوبة، فإنه لا يحزن، وكيف يحزن وهو يعلم بأن هؤلاء البشر الذين حوله لا يستطيعون أن يضروه ولا أن ينفعوه إلا بقدر الله؟ فلم القلق إذن، ولم الحزن الشديد.

---

(١) صحيح رواه الترمذي.

ب – الإيمان باليوم الآخر:

إن الذي يؤمن باليوم الآخر يعلم أن هذه الدنيا لا تساوي شيئًا ؛ فهي قصيرة جداً . . وعندما يفقد عزيزًا يعرف أنه سيلتقي به في الآخرة ، والذي يؤمن بالآخرة يتصور أن كل هذه الدنيا لا تساوي عند الله شيئاً بالنسبة للآخرة ، فعندما يفقد جزءاً صغيراً من هذه الدنيا فإنه لا يحزن الحزن الشديد ، ويتذكر قول رسول الله ﷺ : «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»[1] .

ج – الإيمان بأسماء الله وصفاته:

يعتقد بعض الناس أن الإيمان بالأسماء والصفات مسألة عقدية ذهنية مجردة ؛ كأن نؤمن بأن الله هو الملك ، وأنه الحكيم القادر الباسط المعطي . . . وغير ذلك ، دون أن يكون لهذه الصفات والأسماء مدلول وأثر في حياة المسلم ؛ ولذلك فهؤلاء لا يستفيدون من إيمانهم هذا الاستفادة المرجوة والحقّة .

والحق أن الإيمان بها ليس مجردًا ، إنما له تأثير في واقع الإنسان ؛ فالمسلم الذي يؤمن بأن الله هو الملك ، يؤمن بأنه له – سبحانه – الحق في المنع والعطاء ، فلا يعترض عليه والذي يؤمن بأن الله حكيم لا يقدر شيئًا إلا لحكمة – سواء أدركها الإنسان ذو العقل القاصر أم لم يدركها – هذا يتقبل الأحداث ويعلم أن فيها خيرًا له ، وقد تخفى الحكمة أو بعضها على الناس وقد يكتشفونها أو يكتشفون بعضها في وقت لاحق .

د – مفهوم المسلم للمصائب والأحزان:

إنه مفهوم خاصٌ بالمسلمين ، جديرٌ بأن يكتب بماء من الذهب ، وأمّا الذين لا يعيشون هذا المفهوم فإن حياتهم تسير في نكد وضنك .

أمّا المسلم فإنه يؤمن بأن المصائب قد تكون علامة على محبة الله للعبد ، ألم يقل رسول الله ﷺ : «**إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم**»[2] .

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه أحمد / صحيح الجامع الصغير .

كما أنه يؤمن بأن الابتلاء يكون على قدر الإيمان، ويذكر الحديث رسول الله: «**أشد الناس بلاءً: الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**»(١).

فكلما زاد الإيمان زاد الابتلاء، وكلما كان الابتلاء هيّناً، كان الإيمان على قدره.

ويشهد لذلك حديث رسول الله ﷺ: «**فإن كان في دينه صلبة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه**»(٢).

ويؤمن المسلم أيضاً: بأنه بمجرد حصول المصيبة فإنه سيؤجر عليها - نهيك عن موضوع الصبر عليها - فرسولنا محمد ﷺ يقول: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولاهم ولا حزن، ولا أذى ولا غم؛ حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»(٣).

فإذا اعتقد المسلم هذا؛ فإنه يطمئن بإيمانه بالله، ويزداد توكله على الله واستسلامه لقدره.

فكيف إذا أضاف إلى ما سبق صبره على المصيبة؟ لا شك أن في الصبر على المصائب أجراً عظيماً عند الله سبحانه وتعالى... يقول الله - عز وجل -: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾(٤).

فالمؤمن في كل أحواله في خير.

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله قال: «**عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»(٥).

---

(١) رواه الطبراني / صحيح الجامع الصغير.
(٢) صحيح الجامع الصغير.
(٣) رواه أحمد والشيخان.
(٤) سورة الزمر: ١٠.
(٥) أخرجه مسلم، في كتاب الزهد.

ثانيًا: (من العلاج): التقوى والعمل الصالح:

مما لا شك فيه أن تقوى الله - عز وجل - والعمل الصالح هما بذاتهما يشكلان وقاية للإنسان من الحزن والاكتئاب والضيق. يقول الله - عز وجل -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١].

إذن ما هي الحياة الطيبة؟

أو ليست هي السعادة والطمأنينة؟ أي وربي، فكل الباحثين عن السعادة، وكل من تكلم عن الحياة الطيبة، لن يصلوا إليها إلا بالعمل الصالح، يقول إبراهيم بن أدهم - رحمه الله: (والله إننا لفي نعمة لو يعلم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف).

إذن: هي نعمة الإيمان والطمأنينة، إنها السعادة الحقيقة التي لم يجدها الكثيرون من الناس.

ثالثًا: الدعاء والتسبيح والصلاة:

والدعاء منه ما يكون وقائيًا، ومنه ما يكون علاجيًا فالدعاء الوقائي؛ كقوله عليه السلام: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال**»[٢].

والذي يؤمن بهذا الحديث وأمثاله ويعمل بها، والذي إذا أصابه هم فقرأها، فإن الله سبحانه سيزيل عنه الهم والحزن... ويقول سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وقد ضاق صدره وحزن لكلام الكفار عليه: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾[٣]. فتسبيح الله عز وجل من الأشياء التي تزيل الهم والحزن.

---

(١) سورة النحل: ٩٧.
(٢) رواه أحمد والشيخان عن أنس.
(٣) الحجر: ٩٧.

رابعًا: تقدير أسوأ الاحتمالات والنظر إلى من هو أسوأ حالاً:

وهذه قضية يستعملها الأطباء النفسيون، ولكن نبينا وحبيبنا عليه السلام استخدمها قبلهم؛ كما في حديث خباب بن الأرت.. عندما كان الصحابة في مكة يضطهدون ويسامون العذاب الشديد على أيدي الكفار، فجاء خباب إلى رسول الله وكان متوسدًا بردة في ظل الكعبة، وقال له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال عليه السلام: (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه.. والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه؛ ولكنكم تستعجلون)[1].

فهذه طريقة في العلاج النفسي، إذا أتاك إنسان أصيب بمصيبة، فقل له: هناك أناس أصيبوا أكثر منك.

فمثلاً: إذا كان قد مات ولده في حادث، فيقال له: هناك أناس ماتت العائلة كلها، أو أن في الناس من ماتت زوجته وأولاده وفقد كل ممتلكاته.

وهذا يعني أن الإنسان إذا أصيب بمصيبة فإنه ينبغي عليه أن ينظر إلى من هو أسوأ حالاً منه فيقول: الحمد الله؛ أنا بخير.. فالفقير ينظر إلى من هو أفقر منه فيدرك نعمة الله عليه، ويصلح هذا في أي أمر من الأمور الدنيوية.

خامساً: الواقعية والبعد عن نظرة الكمال الخالية:

إن هناك بعض الناس يكتئبون؛ لأنهم يفكرون خطأ.. وبالطبع فإن المكتئب يفكر بشكل خاطىء، ولكن المقصود من النظرية أن من الناس من يصبح مكتئباً بسبب الخطأ في التفكير وهذا أمر واقع أحياناً.. إذ أن لبعض الناس نظرة خيالية؛ فأحدهم يقول: أنا لا يمكن أن أكون سعيدًا إلا والناس الذين من حولي راضون عني والموظفون الذين معي ينبغي أن يكونوا راضين عني؛ فهذا أمر غير واقعي؛ إذ لا بد من وجود أناس غير راضين عن هذا الشخص، وأناس راضين عنه، وهذا أمر واقعي يعيشه كل الناس، ولو أنه فكّر بواقعية

---

(١) رواه البخاري في علامات النبوة.

وتذكر إن إرضاء الناس كلهم غاية لا تدرك، لكان قد عاش حياته مطمئنًا مرتاح البال من هذه الناحية وذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في كتاب (الوسائل المفيدة للحياة السعيدة) حول موضوع حديث الرسول ﷺ: «**لا يكره مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**»[1].

وهذا الحديث فيه الإرشاد إلى معاملة الزوجة والقريب والصاحب وكل من بينك وبينه علاقة واتصال، وأنه ينبغي أن توطن نفسك على أنه لا بد أن يكون فيه عيب أو نقص أو أمر تكرهه، فإذا وجدت ذلك فقارن بين هذا وبين ما يجب عليك، أو ما ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبة وما فيه من المحاسن والمقاصد الخاصة والعامة، وبهذا الإغضاء عن المساوئ، وملاحظة المحاسن تدوم الصحبة والاتصال، وتتم الراحة وتحصل لك.

سادسًا: تقديم حسن الظن:

وهي نفس قضية: أن النظرة الإيجابية ينبغي أن تقدم على النظرة السلبية.. فالإنسان الذي يسيء الظن بالآخرين هو الذي يتضايق..

مثال ذلك: شخص مرّ على آخر يعرفه فلم يسلم عليه؛ فيبقى الآخر متضايقاً حزيناً متسائلاً: لماذا لم يسلم عليّ؟ لابد أنه يكرهني... أو كذا.. أو كذا... ويبدأ يسيء الظن؛ مما يؤدي به إلى حزن يوم أو يمين أو حتى أكثر، ولو أنه أحسن الظن منذ البداية وقال لنفسه: (ربما لم يرني) أو غير ذلك من الأعذار لما أصابه الحزن.

ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[2].

فهذا الاجتناب لأجل راحتنا نحن.. إذن نحن الذين نطمئن إذا أحسنا الظن، مع ملاحظة أن إحسان الظن لا يعني القابلية للانخداع، كما جاء عن عمر رضي الله عنه.. يقول: (لست بالخب ولا الخب يخدعني) فهو ليس مكاراً ولا يخدع الناس، ولكنه أيضًا لا

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الحجرات: ١٢.

يخدع ؛ إذ إنه منتبه تمامًا . . ولذلك فالأمر المرفوض: هو تقديم سوء الظن وتقديم الاستنباطات الاعتباطية .

سابعًا: كيف التصرف حيال أذى الناس:

والناس قد يؤذونك وخاصة بأقوالهم السيئة ، فلا بد لك أن تعلم بأن هذا الأذى يضرهم ولا يضرك ، إلا إذا أشغلت نفسك بأقوالهم فعندها ستتضايق ، وإن أهملتها فستكون مرتاحًا . لماذا؟

لأن النبي عليه السلام يقول: أتدرون من المفلس؟ إن المفلس من أمتي: من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار [١] .

فإذن: الذي يغتابني ويسبني ويتكلم علي ، هو في الحقيقة يعطيني من حسناته ويحسن إلي ، فجزاه الله خيرًا . . ولذلك ينبغي أن أشكره على هذا الأمر . . فإذا قال لك شخص كلامًا يؤذيك ، فتركه واذهب ، فهو الذي سيتضايق ويغتاظ ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [٢] .

ثامنًا: الأمل:

إن باب الأمل مفتوح وهذا يبعد الضيق والحزن عن الإنسان ؛ وليتذكر الإنسان قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [٣] .

وهذا يعني أنه ما من عسر يأتي إلا ويأتي بعده اليسر . . ويقول سبحانه: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ [٤] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) آل عمران: ١١٩ .
(٣) الشرح: ٥ ، ٦ .
(٤) الطلاق: ٧ .

فكلما اشتدت عليك الأمور فاعلم أن الفرج قد اقترب[١] . .

وأخيرا:

باقة من بهجة قلوب الأبرار:

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله. ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[٢] .

وكذلك حين سئل ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، أو حمية ، أو ليرى مقامه في صف القتال " أي ذلك في سبيل الله ؟ " فقال : «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» .

وقال تعالى في اختلاف الإنفاق بحسب النيات : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾[٣] .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[٤] .

وهكذا جميع الأعمال .

والأعمال إنما تتفاضل ويعظم ثوابها بحسب ما يقوم بقلب العامل من الإيمان والإخلاص ، حتى إن صاحب النية الصادقة - وخصوصا إذا اقترن بها ما يقدر عليه من العمل - يلتحق صاحبها بالعامل ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ

---

(١) مقتبسه من كتاب: الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة تأليف د / عبد الله الخاطر رحمه الله تعالى .
(٢) متفق عليه .
(٣) البقرة: ٢٦٥ .
(٤) النساء: ٣٨ .

وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[١].

٢- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[٢]، وزاد الترمذي والنسائي : «**والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**»[٣].

ذكر في هذا الحديث كمال هذه الأسماء الجليلة التي رتب الله ورسوله عليها سعادة الدنيا والآخرة، وهي الإسلام والإيمان، والهجرة والجهاد. وذكر حدودها بكلام جامع شامل، وأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

وذلك أن الإسلام الحقيقي : هو الاستسلام لله، وتكميل عبوديته والقيام بحقوقه، وحقوق المسلمين. ولا يتم الإسلام حتى يحب للمسلمين ما يحب لنفسه، ولا يتحقق ذلك إلا بسلامتهم من شر لسانه وشر يده. فإن هذا أصل هذا الفرض الذي عليه للمسلمين. فمن لم يسلم المسلمون من لسانه أو يده كيف يكون قائما بالفرض الذي عليه لإخوانه المسلمين ؟ فسلامتهم من شره القولي والفعلي عنوان على كمال إسلامه.

وفسر المؤمن بأنه الذي يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم، فإن الإيمان إذا دار في القلب وامتلأ به، أوجب لصاحبه القيام بحقوق الإيمان التي من أهمها : رعاية الأمانات، والصدق في المعاملات، والورع عن ظلم الناس في دمائهم وأموالهم. ومن كان كذلك عرف الناس هذا منه، وأمنوه على دمائهم وأموالهم، ووثقوا به، لما يعلمون منه من مراعاة الأمانات، فإن رعاية الأمانة من أخص واجبات الإيمان، كما قال ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**».

وفسره ﷺ الهجرة التي هي فرض عين على كل مسلم بأنها هجرة الذنوب والمعاصي. وهذا الفرض لا يسقط عن كل مكلف في كل حال من أحواله ؛ فإن الله حرم على عباده انتهاك المحرمات، والإقدام على المعاصي. والهجرة الخاصة التي هي الانتقال من بلد الكفر أو البدع إلى بلد الإسلام والسنة، جزء من هذه الهجرة، وليست واجبة على كل أحد، وإنما

---

(١) النساء: ١٠٠.

(٢) متفق عليه.

(٣) وزاد البيهقي: والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله.

تجب بوجود أسبابها المعروفة .

وفسر المجاهد بأنه الذي جاهد نفسه على طاعة الله ؛ فإن النفس ميالة إلى الكسل عن الخيرات ، أمارة بالسوء ، سريعة التأثر عند المصائب ، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله ، وثباتها عليها ، ومجاهدتها عن معاصي الله ، وردعها عنها ، وجهادها على الصبر عند المصائب . وهذه هي الطاعات : امتثال المأمور ، واجتناب المحظور ، والصبر على المقدور .

فالمجاهد حقيقة : من جاهدها على هذه الأمور لتقوم بواجبها ووظيفتها .

ومن أشرف هذا النوع وأجلّه : مجاهدتها على قتال الأعداء ، ومجاهدتهم بالقول والفعل فإن الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الدين .

فهذا الحديث من قام بما دل عليه فقد قام بالدين كله : من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وأمنه الناس على دمائهم وأموالهم ، وهجر ما نهى الله عنه ، وجاهد نفسه على طاعة الله ، فإنه لم يبق من الخير الديني والدنيوي الظاهري والباطني شيئا إلا فعله ، ولا من الشر إلا تركه . .

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[1] .

هذا حديث عظيم جمع فيه رسول الله ﷺ بين حق الله وحقوق العباد ، فحق الله على عباده : أن يتقوه حق تقاته ، فيتقوا سخطه وعذابه باجتناب المنهيات وأداء الواجبات .

وهذه الوصية هي وصية الله للأولين والآخرين ، ووصية كل رسول لقومه أن يقول: ﴿**اعبدوا الله واتقوه**﴾ .

وقد ذكر الله خصال التقوى في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي .

وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[١].

وفي قوله : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

ثم ذكر خصال التقوى فقال : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣].

فوصف المتقين بالإيمان بأصوله وعقائده وأعماله الظاهرة والباطنة وبأداء العبادات البدنية والعبادات المالية ، والصبر في البأساء والضراء وحين البأس ، وبالعفو عن الناس ، واحتمال أذاهم ، والإحسان إليهم ، وبمبادرتهم إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بالاستغفار والتوبة ، فأمر ﷻ ووصى بملازمة التقوى حيثما كان العبد في كل وقت وكل مكان ، وكل حالة من أحواله ، لأنه مضطر إلى التقوى غاية الاضطرار ، لا يستغني عنها في كل حالة من أحواله .

ثم لما كان العبد لا بد أن يحصل منه تقصير في حقوق التقوى وواجباتها أمر ﷻ بما يدفع ذلك ويمحوه ، وهو أن يتبع الحسنة السيئة " والحسنة " اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله تعالى: وأعظم الحسنات الدافعة للسيئات التوبة النصوح والاستغفار والإنابة إلى الله بذكره وحبه ، وخوفه ورجائه ، والطمع فيه وفي فضله كل وقت . ومن ذلك الكفارات المالية والبدنية التي حددها الشارع .

ومن الحسنات التي تدفع السيئات : العفو عن الناس ، والإحسان إلى الخلق من الآدميين وغيرهم ، وتفريج الكربات ، والتيسير على المعسرين ، وإزالة الضرر والمشقة عن

---

(١) البقرة: ١٧٧ .
(٢) آل عمران: ١٣٣ .
(٣) آل عمران: ١٣٤ .

جميع العالمين . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[1] .

وقال ﷺ : «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**» وكم في النصوص من ترتيب المغفرة على كثير من الطاعات .

ومما يكفر الله به الخطايا : المصائب ، فإنه لا يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا أذى ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله عنه بها خطاياه . وهي إما فوات محبوب ، أو حصول مكروه ، بدني ، أو قلبي ، أو مالي ، داخلي أو خارجي ، لكن المصائب بغير فعل العبد . فلهذا أمره بما هو من فعله ، وهو أن يتبع الحسنة السيئة .

ثم لما ذكر حق الله - وهو الوصية بالتقوى الجامعة لعقائد الدين وأعماله الباطنة والظاهرة - قال : «**وخالق الناس بخلق حسن**» .

وأول الخلق الحسن : أن تكف عنهم أذاك من كل وجه ، وتعفو عن مساوئهم وأذيتهم لك ، ثم تعاملهم بالإحسان القولي والإحسان الفعلي وأخص ما يكون بالخلق الحسن : سعة الحلم على الناس ، والصبر عليهم ، وعدم الضجر منهم ، وبشاشة الوجه ، ولطف الكلام والقول الجميل المؤنس للجليس ، المدخل عليه السرور ، المزيل لوحشته ومشقة حشمته . وقد يحسن المزح أحيانا إذا كان فيه مصلحة ، لكن لا ينبغي الإكثار منه ، وإنما المزح في الكلام كالملح في الطعام ، إن عدم أو زاد على الحد فهو مذموم .

ومن الخلق الحسن : أن تعامل كل أحد بما يليق به ، ويناسب حاله من صغير وكبير ، وعاقل وأحمق ، وعالم وجاهل .

فمن اتقى الله ، وحقق تقواه ، وخالق الناس على اختلاف طبقاتهم بالخلق الحسن ، فقد حاز الخير كله ؛ لأنه قام بحق الله وحقوق العباد . ولأنه كان من المحسنين في عبادة الله ، المحسنين إلى عباد الله .

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**حق المسلم على المسلم**

---

(١) هود: ١١٤ .

ســـت» قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «**إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنـــصحك فانصح لـــه، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**»[1].

هـذه الحقوق الستة من قام بها في حق المسلمين كان قيامه بغيرها أولى، وحصل له أداء هذه الواجبات والحقوق التي فيها الخير الكثير والأجر العظيم من الله.

الأولى: إذا لقيته فسلم عليه فإن السلام سبب للمحبة التي توجب الإيمان الذي يوجب دخول الجنة، كما قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمـــنوا حـــتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم**» والسلام من محاسن الإسلام، فإن كل واحد من المتلاقين يدعو للآخر بالسلامة من الشرور، وبالرحمة والبركة الجالبة لكل خير، ويتبع ذلك من البشاشة وألفاظ التحية المناسبة ما يوجب التآلف والمحبة، ويزيل الوحشة والتقاطع.

فالسلام حق للمسلم، وعلى المسلم عليه رد التحية بمثلها أو أحسن منها، وخير الناس من بدأهم بالسلام.

الثانـــية: إذا دعاك فأجبه: «**حق المسلم على المسلم**» أي: دعاك لدعوة طعام أو شراب فاجبر خاطر أخيك الذي أدلى إليك وأكرمك بالدعوة، وأجبه لذلك إلا أن يكون لك عذر.

الثالـــثة: قوله: «**وإذا استنـــصحك فانصح لـــه**» أي: إذا استشارك في عمل من الأعمال: هل يعمله أم لا؟ فانصح له بما تحبه لنفسك، فإن كان العمل نافعا من كل وجه فحثه على فعله، وإن كان مضرا فحذره منه، وإن احتوى على نفع وضرر فاشرح له ذلك ووازن بين المصالح والمفاسد، وكذلك إذا شاورك على معاملة أحد من الناس أو تزويجه أو التزوج منه فابذل له محض نصيحتك، واعمل له من الرأي ما تعمله لنفسك، وإياك أن تغشه في شيء من ذلك، فمن غش المسلمين فليس منهم، وقد ترك واجب النصيحة.

---

(١) رواه مسلم.

وهـذه النصيحة واجبة مطلقا ، ولكنها تتأكد إذا استنصحك وطلب منك الرأي النافع ، ولهـذا قـيده في هـذه الحالة التي تتأكد ، وقد تقدم شرح الحديث: «**الدين النصيحة**» بما يغني عن إعادة الكلام .

الرابعة: قـوله : «**وإذا عطس فحمد الله فشمته**» ، «**حق المسلم على المسلم**»" وذلك أن العطـاس نعمـة مـن الله ، لخـروج هذه الريح المحتقنة في أجزاء بدن الإنسان ، يسر الله لها منفذا تخرج منه فيستريح العاطس ، فشرع له أن يحمد الله على هذه النعمة ، وشرع لأخيه أن يقول له : " يرحمك الله وأمره أن يجيبه بقوله : " يهديكم الله ويصلح بالكم " فمن لم يحمد الله لم يـستحق التـشميت ، ولا يلـومن إلا نفـسه ، فهـو الـذي فوت على نفسه النعمتين : نعمة الحمد لله ، ونعمة دعاء أخيه له المرتب على الحمد .

الخامسة: قوله : «**وإذا مرض فعده**» عيادة المريض من حقوق المسلم ، وخصوصا من لـه حـق علـيك متأكد ، كالقريب والصاحب ونحوهما ، وهي من أفضل الأعمال الصالحة ، ومـن عاد أخاه المسلم لم يزل يخوض الرحمة ، فإذا جلس عنده غمرته الرحمة ، ومن عاده أول الـنهار صـلت علـيه الملائكـة حتـى يمـسي ، ومن عاده آخر النهار صلت عليه الملائكة حتى يـصبح ، وينبغـي للعائد أن يدعو له بالشفاء ، وينفس له ، ويشرح خاطره بالبشارة بالعافية ، ويذكره التوبة والإنابة إلى الله والوصية النافعة ، ولا يطيل عنده الجلوس ، بل بمقدار العيادة ، إلا أن يؤثر المريض كثرة تردده وكثرة جلوسه عنده ، فلكل مقام مقال .

السادسة: قـوله : «**وإذا مات فاتبعه**» فإن من تبع جنازة حتى يصلي عليها فله قيراط مـن الأجـر ، فـإن تبعها حتى تدفن فله قيراطان ، واتباع الجنازة فيه حق لله ، وحق للميت ، وحق لأقاربه الأحياء .

٤- عـن أبـي هريـرة رضـي الله عـنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما أنزل الله داء إلا أنزل لـه شفاء**»[١] .

الإنزال هنا بمعنى : التقدير .

---

(١) رواه البخاري .

ففي هذا الحديث : إثبات القضاء والقدر ، وإثبات الأسباب .

وقد تقدم أن هذا الأصل العظيم ثابت بالكتاب والسنة . ويؤيده العقل والفطرة . فالمنافع الدينية والدنيوية والمضار كلها بقضاء الله وتقديره ، قد أحاط بها علما ، وجرى بها قلمه ، ونفذت بها مشيئته ، ويسر العباد لفعل الأسباب التي توصلهم إلى المنافع والمضار ، فكل ميسر لما خلق له : من مصالح الدين والدنيا ، ومضارهما . والسعيد من يسره الله لأيسر الأمور وأقربها إلى رضوان الله ، وأصلحها لدينه ودنياه ، والشقي من انعكس عليه الأمر .

وعموم هذا الحديث يقتضي : أن جميع الأمراض الباطنة والظاهرة لها أدوية تقاومها ، تدفع ما لم ينزل ، وترفع ما نزل بالكلية ، أو تخففه .

وفي هذا : الترغيب في تعلم طب الأبدان ، كما يتعلم طب القلوب ، وأن ذلك من جملة الأسباب النافعة . وجميع أصول الطب وتفاصيله ، شرح لهذا الحديث ؛ لأن الشارع أخبرنا أن جميع الأدواء لها أدوية . فينبغي لنا أن نسعى إلى تعلمها ، وبعد ذلك إلى العمل بها وتنفيذها .

وقد كان يظن كثير من الناس أن بعض الأمراض ليس له دواء ، كالسل ونحوه ، وعندما ارتقى علم الطب ، ووصل الناس إلى ما وصلوا إليه من علمه ، عرف الناس مصداق هذا الحديث ، وأنه على عمومه . وأصول الطب : تدبير الغذاء ، بأن لا يأكل حتى تصدق الشهوة وينهضم الطعام السابق انهضاما تاما ، ويتحرى الأنفع من الأغذية ، وذلك بحسب حالة الأقطار والأشخاص والأحوال ، ولا يمتلئ من الطعام امتلاء يضره مزاولته ، والسعي في تهضيمه ، بل الميزان قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا ﴾[1] .

ويستعمل الحمية عن جميع المؤذيات في مقدارها ، أو في ذاتها ، أو في وقتها . ثم إن أمكن الاستفراغ ، وحصل به المقصود ، من دون مباشرة الأدوية ، فهو الأولى والأنفع . فإن اضطر إلى الدواء ، استعمله بمقدار . وينبغي أن لا يتولى ذلك إلا عارف وطبيب حاذق .

---

(١) الأعراف: ٣١ .

واعلم أن طيب الهواء، ونظافة البدن والثياب، والبعد عن الروائح الخبيثة، خير عون على الصحة. وكذلك الرياضة المتوسطة. فإنها تقوي الأعضاء والأعصاب والأوتار، وتزيل الفضلات، وتهضم الأغذية الثقيلة، وتفاصيل الطب معروفة عند الأطباء. ولكن هذه الأصول التي ذكرناها يحتاج إليها كل أحد.

وصح عنه ﷺ: «**الشفاء في ثلاث: شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وفي الحبة السوداء شفاء من كل داء**». «**العود الهندي فيه سبعة أشفية، يسعط من العذرة، ويلد من ذات الجنب**»، «**الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء**»، (رخص في الرقية من العين والحمة والنملة)، «**وإذا استغسلتم من العين فاغسلوا**». (ونهى عن الدواء الخبيث)، (وأمر بخضاب الرجلين لوجعهما).

٥- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنا؟ فقال: «**إن الله جميل يحب الجمال. الكبر: بطر الحق، وغمط الناس**»[1].

قد أخبر الله تعالى: أن النار مثوى المتكبرين، وفي هذا الحديث أنه: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فدل على أن الكبر موجب لدخول النار، ومانع من دخول الجنة.

وبهذا التفسير الجامع الذي ذكره النبي ﷺ يتضح هذا المعنى غاية الاتضاح، فإنه جعل الكبر نوعين:

كبر النوع الأول: على الحق، وهو رده وعدم قبوله، فكل من رد الحق فإنه مستكبر عنه بحسب ما رد من الحق. وذلك أنه فرض على العباد أن يخضعوا للحق الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه.

فالمتكبرون عن الانقياد للرسل بالكلية كفار مخلدون في النار؛ فإنه جاءهم الحق على أيدي الرسل مؤيدا بالآيات والبراهين. فقام الكبر في قلوبهم مانعا، فردوه. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) رواه مسلم.

يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾[1] .

وأما المتكبرون عن الانقياد لبعض الحق الذي يخالف رأيهم وهواهم ، فهم - وإن لم يكونوا كفارا - فإن معهم من موجبات العقاب بحسب ما معهم من الكبر . وما تأثروا به من الامتناع عن قبول الحق الذي تبين لهم بعد مجيء الشرع به . ولهذا أجمع العلماء أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ ، لم يحل له أن يعدل عنها لقول أحد ، كائنا من كان .

فيجب على طالب العلم أن يعزم عزما جازما على تقديم قول الله وقول رسوله ﷺ على قول كل أحد ، وأن يكون أصله الذي يرجع إليه ، وأساسه الذي يبني عليه ، الاهتداء بهدي النبي ﷺ ، والاجتهاد في معرفة مراده ، واتباعه في ذلك ، ظاهرا وباطنا .

فمتى وفق لهذا الأمر الجليل فقد وفق للخير ، وصار خطؤه معفوا عنه ؛ لأن قصده العام اتباع الشرع . فالخطأ معذور فيه إذا فعل مستطاعه من الاستدلال والاجتهاد في معرفة الحق ، وهذا هو المتواضع للحق .

وأما الكبر على الخلق - وهو النوع الثاني - : فهو غمطهم واحتقارهم وذلك ناشئ عن عجب الإنسان بنفسه ، وتعاظمه عليهم . فالعجب بالنفس يحمل على التكبر على الخلق ، واحتقارهم والاستهزاء بهم ، وتنقيصهم بقوله وفعله . وقال رسول الله ﷺ : «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» .

ولما قال هذا الرجل : «**إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا**» وخشي أن يكون هذا من الكبر الذي جاء فيه الوعيد : بين له النبي ﷺ : أن هذا ليس من الكبر ، إذا كان صاحبه منقادا للحق ، متواضعا للخلق ، وأنه من الجمال الذي يحبه الله ؛ فإنه تعالى جميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، يحب الجمال الظاهري والجمال الباطني .

فالجمال الظاهر : كالنظافة في الجسد ، والملبس ، والمسكن ، وتوابع ذلك .

---

(١) غافر: ٥٦ .

والجمال الباطن : التجمل بمعاني الأخلاق ومحاسنها .

ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ : «**اللهم اهدني لأحسن الأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت. واصرف عني سيئ الأعمال والأخلاق، لا يصرف عني سيئها إلا أنت**» . .

٦- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان يدعو ، فيقول : «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى**»[١] هذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى**» من أجمع الأدعية وأنفعها . وهو يتضمن سؤال خير الدين وخير الدنيا ، فإن " الهدى " هو العلم النافع . " والتقى " العمل الصالح ، وترك ما نهى الله ورسوله عنه . وبذلك يصلح الدين ، فإن الدين علوم نافعة ، ومعارف صادقة ، فهي الهدى ، وقيام بطاعة الله ورسوله ، فهو التقى .

و(العفاف والغنى) يتضمن العفاف عن الخلق ، وعدم تعليق القلب بهم . والغنى بالله وبرزقه ، والقناعة بما فيه ، وحصول ما يطمئن به القلب من الكفاية . وبذلك تتم سعادة الحياة الدنيا ، والراحة القلبية ، وهي الحياة الطيبة .

فمن رزق الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، نال السعادتين ، وحصل له كل مطلوب ، ونجا من كل مرهوب . والله أعلم .

٧- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»[٢] .

قال الشيخ شمس الدين ابن القيم : أي لا يبقى في القلب غل ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة ، بل تنفي عنه غله ، وتنقيه منه ، وتخرجه منه ، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل . وكذلك يغل على الغش ، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلال . فهذه

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذي والشافعي وغيرهما .

الثلاثة تملؤه غلا ودغلا . ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه ، بتجريد الإخلاص والنصح ، ومتابعة السنة . انتهى .

أي فمن أخلص أعماله كلها لله ، ونصح في أموره كلها لعباد الله ، ولزم الجماعة بالائتلاف ، وعدم الاختلاف ، وصار قلبه صافيا نقيا ، صار لله وليا ، ومن كان بخلاف ذلك ، امتلأ قلبه من كل آفة وشر ، والله أعلم .

٨- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنما الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة**»[١] .

هذا الحديث مشتمل على خبر صادق ، وإرشاد نافع .

أما الخبر ، فإنه ﷺ أخبر أن النص شامل لأكثر الناس ، وأن الكامل - أو مقارب الكمال - فيهم قليل ، كالإبل المائة ، تستكثرها ، فإذا أردت منها راحلة تصلح للحمل والركوب ، والذهاب والإياب ، لم تكد تجدها ، وهكذا الناس كثير ، فإذا أردت أن تنتخب منهم من يصلح للتعليم أو الفتوى أو الإمامة ، أو الولايات الكبار أو الصغار ، أو الوظائف المهمة ، لم تكد تجد من يقوم بتلك الوظيفة قياما صالحا ، وهذا هو الواقع ، فإن الإنسان ظلوم جهول ، والظلم والجهل سبب للنقائص ، وهي مانعة من الكمال والتكميل .

وأما الإرشاد ، فإن مضمون هذا الخبر إرشاد منه ﷺ إلى أنه ينبغي لمجموع الأمة أن يسعوا ، ويجتهدوا في تأهيل الرجال الذين يصلحون للقيام بالمهمات ، والأمور الكلية العامة النفع .

الوظائف الدينية والدنيوية ، والأعمال الكلية ، لا بد للناس منها ولا تتم مصلحتهم إلا بها ، وهي لا تتم إلا بأن يتولاها الأكفاء والأمناء ، وذلك يستدعي السعي في تحصيل هذه الأوصاف بحسب الاستطاعة . قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[٢] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يأتي على الناس زمان**

---

(١) متفق عليه .
(٢) التغابن: ١٦ .

القابض على دينه كالقابض على الجمر»[1].

وهذا الحديث أيضا يقتضي خبرا وإرشادا.

أما الخبر، فإنه ﷺ أخبر أنه في آخر الزمان يقل الخير وأسبابه، ويكثر الشر وأسبابه، وأنه عند ذلك يكون المتمسك بالدين من الناس أقل القليل، وهذا القليل في حالة شدة ومشقة عظيمة، كحالة القابض على الجمر، من قوة المعارضين، وكثرة الفتن المضلة، فتن الشبهات والشكوك والإلحاد، وفتن الشهوات وانصراف الخلق إلى الدنيا وانهماكهم فيها، ظاهرا وباطنا، وضعف الإيمان، وشدة التفرد لقلة المعين والمساعد.

ولكن المتمسك بدينه، القائم بدفع هذه المعارضات والعوائق التي لا يصمد لها إلا أهل البصيرة واليقين، وأهل الإيمان المتين، من أفضل الخلق، وأرفعهم عند الله درجة، وأعظمهم عنده قدرا.

وأما الإرشاد، فإنه إرشاد لأمته، أن يوطنوا أنفسهم على هذه الحالة، وأن يعرفوا أنه لا بد منها، وأن من اقتحم هذه العقبات، وصبر على دينه وإيمانه - مع هذه المعارضات - فإن له عند الله أعلى الدرجات، وسيعينه مولاه على ما يحبه ويرضاه، فإن المعونة على قدر المؤونة.

وما أشبه زماننا هذا بهذا الوصف الذي ذكره ﷺ، فإنه ما بقي من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، إيمان ضعيف، وقلوب متفرقة، وحكومات متشتتة، وعداوات وبغضاء باعدت بين المسلمين، وأعداء ظاهرون وباطنون، يعملون سرا وعلنا للقضاء على الدين، وإلحاد وماديات، جرفت بخبيث تيارها وأمواجها المتلاطمة الشيوخ والشبان، ودعايات إلى فساد الأخلاق، والقضاء على بقية الرمق.

ثم إقبال الناس على زخارف الدنيا، بحيث أصبحت هي مبلغ علمهم، وأكبر همهم، ولها يرضون ويغضبون، ودعاية خبيثة للتزهيد في الآخرة، والإقبال بالكلية على تعمير الدنيا، وتدمير الدين واحتقاره والاستهزاء بأهله، وبكل ما ينسب إليه، وفخر وفخفخة،

---

(١) رواه الترمذي.

واستكبار بالمدنيات المبنية على الإلحاد التي آثارها وشررها وشرورها قد شاهده العباد .

مع هذه الشرور المتراكمة ، والأمواج المتلاطمة ، والمزعجات الملمة ، والفتن الحاضرة والمستقبلة المدلهمة - مع هذه الأمور وغيرها - تجد مصداق هذا الحديث .

ولكن مع ذلك ، فإن المؤمن لا يقنط من رحمة الله ، ولا ييأس من روح الله ، ولا يكون نظره مقصورا على الأسباب الظاهرة ، بل يكون متلفتا في قلبه كل وقت إلى مسبب الأسباب ، الكريم الوهاب ، ويكون الفرج بين عينيه ، ووعده الذي لا يخلفه ، بأنه سيجعل له بعد عسر يسرا ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن تفريج الكربات مع شدة الكربات وحلول المفظعات .

فالمؤمن من يقول في هذه الأحوال : " لا حول ولا قوة إلا بالله " و" حسبنا الله ونعم الوكيل . على الله توكلنا . اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى . وأنت المستعان . وبك المستغاث . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " ويقوم بما يقدر عليه من الإيمان والنصح والدعوة . ويقنع باليسير ، إذا لم يمكن الكثير . وبزوال بعض الشر وتخفيفه ، إذا تعذر غير ذلك : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[1] ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[2] ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[3] .

* * * * *

(١) الطلاق: ٢ .
(٢) الطلاق: ٣ .
(٣) الطلاق: ٤ .

obeikandl.com

وختاما

أحبتي: إن القلب المؤمن المنشغل بذكر الله يجعل صاحبه حيا عند ربه استنادا لقوله عز وجل: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾[١] .

ولقول النبى ﷺ : «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الميت والحي**»[٢] .

ذلك لأنه من استطاع كدح الشيطان فهو المهتد وحق له أن يفرح ، فلما تلا الرسول ﷺ هذه الآية سئل: يا رسول الله كيف انشراح صدره؟ قال: إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل له: يا رسول الله فما علامة ذلك؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت[٣] وهذا الحديث باب ندخل منه إلى علامات القلب السليم ، كما بينت من خلال شرحى السابق ، فسلامة الروح والوجدان أي القلب هي التي تجعل العبد يشتاق إلى دار الخلود ، مستقبله الحقيقى ، أو مسقط رأسه إن صح التعبير لأن الدار الآخرة لهي الحيوان ، وهي التي يجب أن نعد لها رحالنا ، كذلك يصبح المرء زهيدا في الدنيا عارفا أنه في دار غربة وليس أكثر من عابر سبيل ، مر مرور الكرام على هذه الدار فأقام فيها إلى أن وافته المنية ، لذلك فإن الاستعداد للموت علامة من العلامات ، فيتأهب لها ويتزود لأجلها وإن خير الزاد التقوى فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون .

والسؤال المطروح هنا هو: هل هناك قلب مريض إذن؟ وما هي أمراضه وكيف علاجها؟

بالطبع نعم لهذا نقول أن القلوب المريضة موجودة حقا وزيادة على هذا فقد كثرت في

---

(١) الأنعام: ١٢٥ .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه الطبري .

هـذا الـزمان ، فـالأخلاق الخبيـثة هي أمراض القلوب وأسقام النفوس ، فالخلق الحسن كان خلـق سيد المرسلين وخاتم النبيين: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ فقد كان خلقه عليه أفضل الصلاة والسلام - كما قالت عائشة رضي الله عنها - القرآن "كان خلقه القرآن" ؛ ثم أنه إذا أصيب العبد بمرض في قلبه فإنه يحتاج إلى تأنق في معرفة علمها وأسبابها ثم يبادر في علاجها وإصـلاحها ، فمـن الممكـن - علـى سـبيل المـثال - أن تكـون الصحبة السيئة من بين تلك الأسـباب ، أما معالجتها فهو المراد بقولـه تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ وإهمالها هو المراد بالآيـة: ﴿ وَقَـدْ خَـابَ مَـن دَسَّاهَا ﴾ ؛ فأمراض القلوب إذن سوء الأخلاق والميل إلى الـشهوات ، وعلاماتهـا كثيرة ، فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض ، ومن تعذر علـيه فعلـه الخـاص الذي خلق من أجله فهو مريض وكلنا نعرف أننا خلقنا من أجل شيء واحـد وواحـد فقـط ، نعم . . . لقد خلقنا لعبادة الله وحده لا شريك لـه فقد قال عز جاره وجـل ثـناؤه: "ومـا خلقـت الجـن والإنـس إلا ليعـبدون" فالعمـل عـبادة ، والطاعة عبادة ، وتأسيس أسرة صالحة عبادة وكل خطواتنا يجب أن تكون خالصة لوجه الله تعالى ، وكما أنه مـن الأمـراض من لا يدركها صاحبها فإن مرض القلب لا يعرفه صاحبه لذلك يغفل عنه ، ومـن تداركه فقد هدي ، وعليه أن يذوق مرارة الدواء إذا أراد الشفاء ويتبرأ من الداء ، وإن البلـسم الفعـال الكفـيل بـالعلاج هو الصبر ، وما أدراك ما الصبر ، فيصبر على الشهوات ، ويـصبر علـى الطاعـات كمـا يصبر عند المصيبات ، ومن وجد في نفسه صبرا فهنيئا لـه فقد وجـد دواء لمرض كاد يصير عضالا لولا أن تداركه رحمة من الله ، فمن أراد النجاح فلا نجاة إلا بالصبر ونشر الصلاح ، وهذا الأخير لا يصدر إلا عن الأخلاق الحسنة ، فليتفقد كل عبد صـفاته وأخلاقـه ولـيعددها ويشتغل بعلاج الواحد تلو الآخر لأن كل واحد منا هو طبيب نفـسه ، فنـسأل الله الكـريم أن يسهل علاجنا ويجعلنا بذلك من عباده الصالحين ويكتبنا من المتقين .

أمـا إذا أردنا الوصول إلى القلب العمري ونملأ روحنا بالإيمان ونغذيها بالقرآن علينا أن نجاهد أنفسنا بالرياضة على أربعة أوجه: القوت من الطعام لأن ذلك يكسر الشهوات ، قصر المـنام فتـصفو الإرادات ، قلـة الكـلام للسلامة من الآفات ، احتمال الآلام لبلوغ الغايات ،

ويصير القلب بعد ذلك نظيفا نوريا ، خفيفا وروحانيا ، يجول في ميدان الخيرات ويسير في مسالك الطاعات ، فعلينا أن نتغلب على نفوسنا حتى لا نصبح أسرى في حب شهواتها محصورين في سجن هواها ، وبهذه المقاومة نكون قد دربنا قلوبنا على الطاعة بهذه الحلول وروضنها كما تروض الخيول ، وملأناها بذكر الله ، وحبه والسعي لرضاه ، وهذا هو القلب السليم ببساطة ، أنعم به من قلب ، نسأله تعالى السلامة من هذه الآفات ، وأن يجعلنا هادين مهتدين كما يحب ويرضى .

ولابد أن نعلم يقيناً أن الله خلق كل عضو من أعضاء البدن لفعل خاص به فقد يمرض هذا العضو ويتعذر عليه فعل ما خُلق له فمثلاً قد تمرض اليد ويتعذر عليها البطش وقد تمرض العين ويتعذر عليها الإبصار فلا ترى ؛ وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص الذي خلقه الله من أجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى بعبادته وطاعته والتلذذ بذكره وأن يؤثر ذلك على كل شهواته قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذاريات) .

فالخلق لعلة ألا وهي العبادة لا الشرب ولا الأكل ولا التلذذ ولا الضياع في هذه الدنيا ولهذا ميزنا الله عن البهائم فلو عرف الإنسان كل شيء من صعود للقمر واختراعات وغيرها من علوم العصر الحديث التي نراها اليوم وتبهر العالم ولم يعرف خالقه ما عَرِف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة ألا تؤثر الدنيا وما فيها على محبة الله فإذا أحببت شيئاً وجعلت حبه في قلبك أعظم من حبك الله تعالى وطاعته فأنت في قلبك مرض والعياذ بالله فعليك بطبيب عالم رباني يعرف أصول أمراض القلوب فمثلاً داء البخل علاجه ببذل المال وإنفاقه فإذا أنفقت المال لحد التبذير فيكون التبذير داءا أيضاً ولكن الاعتدال كما بينا هو المطلوب وإذا أمسكت المال ولم تبذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك هو جانب البخل وهكذا .

ولنعلم جميعا أن من استوى على الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة ولما كانت الاستقامة ليست بالسهلة ولا اليسيرة وجب على كل عبد مؤمن بالله

أن يدعوه سبعة عشر مرة في الفاتحة في صلواته اليومية اهدنا الصراط المستقيم [١] .

فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن لابد من الاجتهاد حتى لا تختلط الأمور على القلب والطريق الأمثل للاستقامة أن يعرض القلب على كتاب الله تكرارا ومرارا حتى يتبين لنا الطريق فهو النور الذي يبعث الحياة في القلوب قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَياً وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ (يس) .

وكذلك بالعمل الصالح والأخلاق الحسنة يسلم القلب وينجو من عذاب الله ،

فكل الناس في خطر يوم القيامة إلا . . . . من أتى الله بقلب سليم ،

فنسأله في علاه أن يلهمنا رشدنا فيصلح قلوبنا ويبصرنا عيوبنا ويوفقنا للقيام بذكره وشكره وحسن عبادته ، وندعو فنقول: ﴿ وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء) .

وختاماً نقول كما قال الرسول: يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، ويا مصرف القلوب صرف قلوبنا في طاعتك ، اللهم طهر قلوبنا من الخطايا كما طهرت الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس لا تشبع وعلم لا ينفع ودعاء لا يسمع ، اللهم افتح مسامع قلوبنا لذكرك ، وارزقنا طاعتك وطاعة رسولك وعملا بكتابك وصل اللهم وسلم وبارك على المصطفى وعلى آله وصحبه دائما أبدا .

تم بحمد الله تعالى ،

* * * * *

(١) كتاب الإحياء للغزالي بتصرف .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- إحياء علوم الدين للشيخ الغزالي .
- الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي من محاضرة: من أعمال القلوب (اليقين) .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية -١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- ابن القيم الجوزية / أمراض القلوب وشفائها بتصرف شبكة مشكاة الإسلامى .
- السنن الكبرى - أحمد بن الحسين البيهقي - دار المعرفة - بيروت - بدون .
- الشرح الكبير - عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي - تحقيق عبد الله .
- إغاثة اللهفان ، ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .
- أمراض اللسان والقلوب . . يس رشدى .
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني ، ط (دون تايخ) دار المعرفة ، بيروت .
- البداية والنهاية ، الإمام عماد الدين ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، ط١ مكتبة المعارف ، بيروت .
- تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ، الإمام ناصر الدين البيضاوي ، (ت ٧٩١هـ) ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .
- تفسير أبو السعود / المكتبة الشاملة من الإنترنت .
- تفسير الجلالين بتصرف .
- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير - دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٥ هـ / ١٩٩٥م .
- تفسير الظلال / سيد قطب .
- تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" ، الإمام أبو عبدالله محمد الأنصاري القرطبي ، دار التوفيقية للنشر ، القاهرة .
- تاج اللغة وصحاح العربية - إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور

obeikandl.com

عطار - دار العلم للملايين - بيروت -الطبعة الثالثة - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .

- التوكل على الله . . حقيقته وفضله ، وهل ينافي العمل؟ / منيرة بنت حمود البدراني/ بتصرف .
- التفسير الجامع لأحكام القرآن ، الإمام أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ط٣ ، ١٣٩٨هـ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - تحقيق عبد الله التركي - دار هجر - الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- جامع العلوم والحكم لابن رجب .
- الجامع الصحيح للامام مسلم ابن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) ، ت ح محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٥هـ .
- الجامع الصحيح للترمذي ، الإمام محمد ابن عيسى الترمذي (ت٢٨٧هـ) ، ت ح أحمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي .
- الجامع الصحيح : محمد بن إسماعيل البخاري ، ترقيم : د / محمد أديب البغا ، ط: ١٤٠٧هـ دار ابن كثير ، دمشق .
- المحبة فى الله / موقع صيد الفوائد .
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط١ ، سنة ١٣٩٩ هـ .
- سنن الدارمي ، الإمام أبو محمد عبدالله الدارمي السمرقندي (ت ٢٥٥هـ دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، الدار السلفية ، الكويت ، المكتبة الإسلامية ، الأردن ، الطبعة الأولى .
- سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني - بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد - دار إحياء التراث العرب .
- سنن الدارمي ، الإمام أبو محمد عبدالله الدارمي السمرقندي (ت ٢٥٥هـ دار

obeikandl.com

الفكر ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ .

- سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، الدار السلفية ، الكويت ، المكتبة الإسلامية ، الأردن ، الطبعة الأولى .
- سير أعلام النبلاء ، الإمام شمس الدين محمد ابن عثمان الذهبي ، (ت ٧٤٨هـ) ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ .
- السنن الكبرى - أحمد بن الحسين البيهقي - دار المعرفة - بيروت - بدون .
- السيرة النبوية لابن هشام / دار إحياء التراث العربى ، بيروت ط١ / ١٤١٥ .
- شبكة مشكاة الاسلامى/ ابن تيمة في مرض القلوب وشفائها .
- الشرح الكبير - عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي - تحقيق عبد الله التركي - دار هجر - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م .
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني ، ط (دون تايخ) دار المعرفة ، بيروت .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت ودمشق - الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- صحيح مسلم مع شرح النووي - مسلم بن الحجاج النيسابوري - دار الفكر - بيروت - بدون .
- صفة الصفوة - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي - تحقيق محمود فاخوري - دار المعرفة -بيروت- الطبعة الرابعة -١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط: دار إحياء التراث العربي .
- صحيح البخاري مع فتح الباري - محمد بن إسماعيل البخاري - دار الفكر - بيروت - بدون .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت ودمشق - الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

obeikandl.com

- فتح القدير للشوكانى / المكتبة الشاملة من الإنترنت .
- كتاب كنز القناعة للشيخ د . محمد الركبان - دار القاسم بالرياض - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .
- كتاب الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة تأليف د / عبد الله الخاطر رحمه الله تعالى .
- كتاب الايمان ، محمد ابن إسحاق ابن محمد ابن منده الأصبهاني (ت ٣٩٥هـ) ، ت ح د/ على الفقيهي ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ط١ ، ١٤٠١هـ .
- كتاب القناعة/ ابن السني .
- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي - المكتبة الفيصلية- مكة المكرمة- دار صادر- بيروت- بدون .
- كياب شفاء القلوب للشيخ/ مصطفى بن العدوي .
- مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، ط الأولى ١٣٨١هـ .
- مدارج السالكين ، ابن القيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) ، مكتبة الصفا ، القاهرة .
- مسند الإمام أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١هـ) المكتب الاسلامي ، دار صابر للنشر ، بيروت .
- مختصر تفسير بن كثير ، الإمام عماد الدين ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٨هـ .
- مقاييس اللغة ، ابن فارس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .
- إحياء علوم الدين للغزالي .
- محاضرة الشيخ سلمان العودة عن النية . المدخل لابن الحاج (١/ ٣) .
- محمد المنجد/ سلسلة أعمال القلوب / بتصرف .
- معالم في الطريق/ سيد قطب .

* * * * *

obeikandl.com